روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سري جدا !!

٦٦

الشمس الزرقاء



ملف المستقبل • الشمس الزرقاء • ٦٦ • المؤسسة العربية الحديثة بالقاهرة •

ملف المستقبل
سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمي

المؤلف



د. نبيل فاروق

٦٦

الشمس الزرقاء

- هل يُمكن أن تتحوَّل شمسنا يومًا إلى شمس زرقاء ؟
- أيُمكن أن يحدث ذلك بواسطة بشريّ واحد ؟..
- تُرى .. كيف يواجه (نور) وفريقه تلك الظاهرة المخيفة ؟ وكيف يقاتلون (الشمس الزرقاء) ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ، وشاهد كيف واجهت الأرض نهاية العالم ..



الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : شيطان الفضاء



١ ــ رحلة الشمس ..

جرى العمل على قدم وساق ، فى قاعدة الفضاء المصرية (نصر) ، استعدادًا لإطلاق المكُّوك الفضائىّ (نسر ــ ٢٠) ، فى رحلة مثيرة ، تختم سلسلة من الرحلات المشابهة ، التى استغرقت عامين متتالِيَيْن ، فى إطار مشروع فضائىّ ضخم ، أمسكت (مصر) بزمام مبادرته ، ألا وهى أوَّل دراسة شاملة كاملة ، للنجم الأعظم ، الذى تدين له الأرض بضوء الحياة ودفئها ..

الشمس ..

نعم .. كان ذلك النجم المتوسِّط الحجم ــ بالقياس الفضائىّ العامّ ــ والذى يبعد عن الأرض بوحدة فلكية كاملة(*) ، وتبلغ كتلته سبعمائة مرَّة ضعف كتلة باقى كواكب

(*) الوحدة الفلكية : هى متوسط المسافة بين الأرض والشمس ، وتساوى (١٤٩٦٠٠٠٠٠ كم) .

المجموعة الشمسية ، والذى تبلغ حرارة الغلاف الضوئىّ له ستة آلاف درجة مئوية(*) ، هو هدف المشروع ، الذى أطلق عليه العلماء ، الذين أشرفوا على تنفيذه ، اسم (مرصد المستقبل) ..

ولقد كان هدف المشروع هو إنشاء مرصد فضائىّ خارق ، على أقرب مسافة ممكنة من الشمس ، بحيث يمكن بواسطته رصد أدقّ التفاعلات والتغيُّرات على سطح الشمس ، مهما بلغ صغرها ، ومهما بلغت دِقّتها ..

وكان المشروع بالغ الضخامة بالفعل ، فقد انطلقت عشرة أقمار صناعية ، على مدار عامين ، واتخذت موقعها تدريجيًّا ، على أقرب مسافة ممكنة من الشمس ، مع استخدام أعلى درجات تقنية التبريد الهائل ، وعندما يلحق بها القمر العاشر والأخير ، ستصنع كلها دائرة فضائية كاملة ، بين الأرض والشمس ، مبرمجة فى دِقّة بالغة ، بحيث تتبع مدار الأرض حول الشمس إلى الأبد ، وعندما يتخذ كل قمر منها مداره ومَوْقعه ، ستمتد فيما بين الأقمار خيوط من ألياف زجاجية بالغة الدّقة

(*) الغلاف الضوئىّ : هو السطح المضىء للشمس ..

والشفافِية ، يبلغ طولها ملايين الكيلومترات ، فتتصل فى شكل شبكىّ متماسك ، يستغرق إعداده عامًا كاملًا ، وبعدها تكون عدسة الرصد الفضائية العملاقة قد تكوَّنت ، ويكون أعظم مرصد فضائىّ فى العالم قد نشأ ..

أنشأته (مصر) ..

وهكذا تكون (مصر) هى صاحبة أقدم مرصد فضائىّ فى التاريخ ، وأحدثه(*) ..

وبدأ العدُّ التنازلىّ ..

وخفقت قلوب العلماء الستة ، المشرفين على المشروع ..

وفى السابعة ودقيقة واحدة صباحًا ، انطلق المكُّوك الفضائىّ ..

وفى السابعة وثلاث دقائق ، اخترق الغلاف الجوىّ ، وبدأ رحلته نحو الشمس ..

(*) أقدم مرصد فضائىّ معروف تاريخيًا ، هو مرصد (الإسكندرية) (٣٠٠ ق . م .) ، ولقد أنشئ مرصد (حلوان) عام (١٩٠٣م) ، وكان منذ عام (١٨٦٨م) فى العباسيّة ، بميدان (الرصدخانة) ، ويتبعه مَرْصَد (القَطَّامِيَّة) ، الذى يحوى منظارًا عاكسًا (٧٤ بوصة) .

وسرت مَوْجَة من الارتياح فى النفوس ، وراح الجميع يهنئون أنفسهم على نجاح الإطلاق ، واجتمع خمسة من العلماء الستة يتناقشون فى حماس ، ويتحدَّثون فى انفعال عن النتائج المنتظرة للمشروع ..

أمّا العالِمُ السادس ، فقد اكتفى بالتطلُّع إلى الخمسة الآخرين فى استخفاف وسخرية ، ثم أشار إلى معاونه ، الذى أسرع إليه فى لهفة ، فمال نحوه ، وهمس فى حزم :

ـ هل تمَّ كل شىء على ما يرام ؟

أومأ معاونه برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا دكتور (وفيق) .. لقد نفَّذت أوامرك بمنتهى الدِّقَّة ، فأضفت تعديلك على برنامج الكمبيوتر ، وحوَّرت شفرة التحكُّم الآلىّ .

تألّقت عينا الدكتور (وفيق) فى لمعان عجيب ، وهو يقول :

ـ إذن فقد صار المشروع كله خاضعًا لنا .

ابتسم معاونه ، وهو يقول :

ـ تمامًا يا سيِّدى .

ازداد تألّق عينى الدكتور (وفيق) ، وبدا بريق عينيه أقرب إلى الجنون ، وهو يقول :

ـ لقد اقتربت لحظة الفوز إذن يا (نديم) .

انتفخت أوداجه زهوًا ، وأشار بيده فى عظمة ، قائلًا :

ـ خذنى إلى هناك يا (نديم) .

أحنى (نديم) رأسه فى طاعة ، وتقدَّم رئيسه بخطوات سريعة ، حتى خارج المكان ، وانحنى أمامه فى احترام ، وهو يفتح له باب سيارته الصاروخية ، التى دلف إليها العالِمُ ، واسترخى على مقعدها الخلفى ، وأسبل جفنيه ، وكأنما يشعر برغبة فى نوم عميق ، على حين قفز (نديم) خلف أزرار القيادة ، وانطلق بالسيَّارة الصاروخيَّة نحو الصحراء الغربيَّة تمامًا ..

وفى صوت خافت ، راح الدكتور (وفيق) يغمغم :

ـ هل تعلم يا (نديم) ؟. إننى أستحق الفوز بالفعل .. لقد كان الخمسة الآخرون يتصوَّرون أنفسهم فى المصافّ الأعلى ؛ لأنهم يصمِّمون وينفِّذون كل الخطوات المتطوِّرة فى المشروعُ ، وكانوا ينظرون إلىَّ فى تعالٍ ، متصوِّرين أننى أقوم بعمل روتينىّ تافِه ؛ لأن مهمَّتى تقتصر على إعداد البرنامج الدفاعىّ للمشروع .

وتنهَّد فى مرارة ، وكأنما يستعيد ذكرى بغيضة إلى نفسه ، قبل أن يردف :

ـ وهكذا قرَّرت ـ منذ عامين ـ أن أحطِّم أنُوف الجميع .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يستطرد مُسْبِلَ الجفْنَيْن :

ـ كان الأمر أبسط ممَّا يمكن أن يتصوَّر الجميع .. لقد تركت كلًّا منهم يؤدِّى واجبه بكل دِقَّة واهتمام ، وعاوننى التقدُّم التكنولوجىّ الحديث ، الذى جعل التصميم والتنفيذ لا يحتاجان لأكثر من رجل واحد ، وكمبيوتر .

والتقت أسنانه فى صرامة ، وهو يتابع :

ـ كل ما كنت أحتاج إليه هو الصبر .. لقد جنَّدْتُ الجميع لحسابِى ، دون أن يشعروا ، واليوم ، مع انطلاق القمر الأخير ، تكون لُعْبَتِى قد اكتملت .

توقَّف عن الحديث ، عندما بلغت السيَّارة الصاروخيَّة نقطة ما ، واعتدل فى اهتمام ، وهو يقول لـ (نديم) :

ـ أعْطِ الإشارة السِّرِّيَّة .

ضغط (نديم) عِدَّة أزرار فى لَوْحة القيادة ، بتتابع مُتْقَن مَدْروس ، ومضت لحظة من السكون ، ثم بدا وكأن جزءًا من رمال الصحراء قد ارتفع ، كاشفًا دائرة لامعة كبيرة ،

انطلقت السيَّارة بضعة أمتار ، لتستقرَّ فوقها ، وعندئذ هبطت الدائرة إلى أسفل ، وعادت رمال الصحراء إلى موضعها ..

واستغرق الهبوط ثوانىَ معدودات ، توقَّفت السيَّارة بعدها فى قاعة كبيرة خالية ، تزخر بأحدث المعدَّات الإليكترونية ، فغادر الدكتور (وفيق) سيَّارته ، واتَّجه نحو ما يشبه عرشًا زجاجيًّا ، استقرَّ فوقه ، وضغط عِدَّة أزرار فى مسنده ، فأضاءت شاشات أربع أمامه ، تنقل إليه ما يدور حول مخبئه ، وتتوسَّطها شاشة كبيرة ، تنقل إليه مشهد المكُّوك الفضائىّ ، الذى يحمل القمر الصناعىّ العاشر إلى مَداره ، فتألَّقت عيناه ، وقال فى انفعال :

ـ أمامنا عام واحد يا (نديم) .. حتى تنتهِىَ الأقمار العشرة من صنع العدسة العملاقة ، وبَعْدَهَا .

برقت عيناه فى شِدَّة ، وهو يستطرد فى لهجة أقرب إلى الجُنُون :

ـ وبعدها ننتصر نحن ، ويصبح العالم أجمع ملك أيدينا .

وهبَّ من عرشه ، صارخًا :

ـ سنحكم العالَم كلَّه .. من هنا .

* * *

٢ ـــ المجنون ..

بعد عام كامل من هذه الأحداث ، وفى منزل رائد المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، ابتسمت ابنته (نشوى) ، وهى تراقبه ، وقد استغرق تمامًا فى متابعة ذلك المشهد الفضائىّ ، الذى ينقله الهولوفيزيون المجسّم ، للأقمار الصناعية العشرة ، بعد أن اكتمل تكوين العدسة الفضائية العملاقة ، وصار (مَرْصَد المستقبل) مستعدًا للعمل ..

وارتفع صوت (مشيرة محفوظ) ، مذيعة (أنباء الفيديو) اللامعة ، وهى تعلّق على المشهد الرائع ، قائلةً :

ـــ ثلاثة أعوام من الانتظار أيها السّادة .. لقد استغرق ذلك المشروع ثلاثة أعوام كاملة ، وتكلّف ما يقرب من أربعة مليارات جنيه ، حتى هذه اللحظة ، ولقد استطلعت (أنباء الفيديو) آراء عشرات العلماء ، طوال هذه الأعوام الثلاثة ، وسألتهم عمّا إذا كانت تلك العدسة العملاقة ستؤثر على كمّ وقوّة أشعة الشمس ، الواصلة إلى الأرض ، فأجمع الكلّ على أنه

قد تمّ إعداد العدسة ، واختيار موقعها ، بدراسة بالغة التعقيد ، بحيث يقع البعد البؤرىّ للضوء فى منتصف المسافة بين الأرض والشمس ، ومنه يبدأ تشتيت الضوء مرّة أخرى ، فتصل نفس الكمّيّة من أشعة الشمس إلى الأرض ، دون أيّة زيادة أو نقصان .

غمغمت (نشوى) ضاحكة :

ـــ عجبًا !!.. لم أتصوّر أبدًا أنك ستهتم بأنباء الفضاء يا أبى .

سألها (نور) فى دهشة :

ـــ لماذا ؟

ضحكت ، وهى تقول :

ـــ لأنك قد أصبحت رائد الفضاء الأوّل على كوكب الأرض .. ألم تسافر إلى كوكبى (أرغوران) و (جودان) ، وأنت البشرىّ الوحيد الذى وصل إلى الأخير وعاد منه سالمًا(*) .

ابتسم ، وهو يقول :

(*) راجع قصتى (جحيم أرغوران) ، و (أبواب الموت) .. المغامرتين رقم (٥٩) و (٦٥) .

ـ الأمر هذه المرّة يختلف .. إننى أشاهد إنجازًا حضاريًّا لوطنى .

قالت مبتسمة :

ـ ولكوكبك .

اتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .

أشارت زوجته (سلوى) إلى شاشة (الهولوفيزيون) ، وهى تقول :

ـ أليس من الخطر أن يعتمد مشروع بالغ الخطورة كهذا ، على تحكُّم أجهزة الكمبيوتر تمامًا ؟

أجابتها ابنتها :

ـ على العكس يا أمّاه .. إن أجهزة الكمبيوتر أكثر دِقَّة ، فاحتمالات الخطإ فيها منعدمة تقريبًا ، ثم إن تحرُّك المَرْصد مع حركة الأرض ، أمر بالغ الصعوبة والتعقيد ، ومن المستحيل إتقانه يدويًّا .

لم يبد الاقتناع على (سلوى) ، وهى تقول :

ـ وماذا لو .....؟

قاطعها (نور) ضاحكًا :

ـ وماذا لو تابعنا الحدث أوَّلًا ، ثم ناقشنا مساوئه فيما بعد ؟

عقدت حاجبيها فى حَنَق ، وأشاحت بوجهها مغمغمة :

ـ يبدو أنَّ حديثى لم يَعُد يرُوق لأحد .

ابتسمت (نشوى) ، وتبادلت مع (نور) نظرة ضاحكة ، وعادا يتابعان المشهد على الشاشة ، و(مشيرة) تستطرد :

ـ بعد لحظات ، يبدأ عمل (مرصد المستقبل) ، الذى سيُحدثُ طَفْرَةً فى دراسات الشمس والنجوم ؛ لما سيضيفه من معلومات بالغة الدِّقَّة ، عن النشاطات الشمسيَّة ، و.....

وفجأة .. شهقت (مشيرة) ، وهى تهتف :

ـ يا إلٰهى !! .. ذلك الضوء .. العدسة .. يا إلٰهى !!

اختلطت شهقتها بشهقة (سلوى) ، وهى تصرخ :

ـ يا إلٰهى !! .. (نور) .. الشمس !!

لم ينطق (نور) ببنتِ شَفَة ، وهو يتابع فى انفعال شديد ، ذلك المشهد ، على شاشة (الهولوفيزيون) ..

لقد كانت العدسة العملاقة قد اصطبغت فجأة بلون أزرق ، صبغ بدَوْره أشعة الشمس ، التى تنفذ خلالها ، والتى

سقطت على الأرض زرقاء مخيفة ، فصبغت كل شىء على سطحها بالزُّرقة ..

ولم يكن (نور) وَحْدَهُ الذى أُصيب بكل ذلك القدر من الانفعال ..

لقد شاركه كل سكّان الأرض ..

شاركوه وهم يرتجفون ، وقد اصطبغ كل شىء حولهم بالزُّرقة ، فصاروا أشبه بكوكب يحتضر ..

رُعب هائل ذلك الذى ساد العالَم كله ..

فَزَعٌ رهيب اجتاح كل الشعوب ..

وتساءل الجميع عمّا أصاب العدسة العملاقة ..

وراح علماء المشروع الخمسة يراجعون حساباتهم فى هَلَع ، ويَسْتَوْثقون من نتائجهم فى جَزَع ..

وأشارت أصابع الاتهام كلها إلى (مصر) ..

وفجأة .. وفى خِضَمِّ كل هذا القلق والذُّعر ، جاء الجواب ..

جاء فجأة ، على نحو زاد من توتُّر المواقف أضعافًا مضاعفة ..

جاء على هيئة صورة ظهرت على شاشات أجهزة (الهولوفيزيون) فى العالَم أجمع ..

صورة الدكتور (وفيق) ..

لم تكن نفس الصورة ، التى عرفه عليها رفاقه دَوْمًا ..

وإنما كانت صورة أُخرى ..

صورة مجنون ..

كان بريق عينيه مخيفًا ، وهو يرتدى زيًّا أزرق اللون ، وحرملة حمراء زاهية ، وتتدلّى من عنقه قلادة من الذهب ، على هيئة شمس متألّقة ، وهو يقول :

ـ إلى جميع سُكّان الأرض .. أنا الدكتور (وفيق) ، إمبراطور الأرض القادم ، أتحدّث إليكم .. لقد سيطرت تمامًا على (مَرْصَد المستقبل) ، ولم تعُد أجهزته تطيع سوى أوامرى وحْدِى ، وَأنا أضفت تلك المادّة ، التى صبغت عدسته بذلك اللون الأزرق ، والمرصد كما تعلمون ، مزوَّد بنظام دفاعىّ متطوِّر ، لا مثيل له .. نظام بالغ الدِّقّة ، يحمى المَرْصَد ، ويدافع عنه بكل الوسائل ، ولن تجدوا على كوكب الأرض كله سلاحًا واحدًا ، يمكنه تدمير المَرْصَد ، أو حتى تهديده .

غمغم (نور) فى انفعال ، وهو يتابع المشهد :

ـ إنه مجنون .. مجنون ولا شكّ .

لم يسمع تعليقًا واحدًا من زوجته أو ابنته ، فعاد يتابع حديث الرجل ، الذى استطرد فى عظمة جنونية :



كان بريق عينيه مخيفًا ، وهو يرتدى زيًا أزرق اللون ، وحرملة حمراء زاهية ، وتتدلَّى من عنقه قلادة من الذهب ..

ــ لست أظنكم بحاجة إلى معرفة تأثير غياب الشمس ، على الحياة على كوكب الأرض .. إن الطول الموجيّ للَّون الأزرق يختلف ، عن الطول الموجىّ لِلَّوْن الشمس الأصفر ، الذى تعرفونه ، وهذا يَعْنِى أن أشعة الشمس الزرقاء لن تخترق أجسادكم ، وبذا ستحرمون تكوين فيتامين [د] فى أجسامكم بصورة طبيعية ، وستعجز النباتات عن تكوين مادَّة اليخضور ، التى تساعد على نموِّها .. كل شىء حولكم سيفسد ويتغيَّر .. حتى عيونكم سيضعفها اللَّوْن الأزرق المستمر .. ولا تتصوَّروا أبدًا أنَّ الليل سيبقى طبيعيًا ؛ لأنه بلا شمس .. خطأ .. إن القمر يضىء بانعكاس أشعة الشمس عليه ؛ لذا فسيصير داكنًا ، عندما تصبح أشعة الشمس زرقاء .. أعلم أنه يمكنكم الاستعاضة عن كل هذا بوسائل صناعيَّة ، ولكن إلى متى .. إن (مَرْصَد المستقبل) معدٌّ للعمل إلى الأبد ، وستحكمون على أنفسكم بالعيش ككوكب بلا شمس .. إلَّا إذا .....

ازداد بريق عينيه ، وتضاعفت فيهما نظرة الجنون ، وهو يُرْدِف :

ــ إلَّا إذا اعترفتم بى إمبراطورًا على كوكب الأرض .

هتف (نور) فى سخط :

ـ ألم أقُلْ لكم ؟ .. إنه مجنون بحقّ .

مرّة أُخرى لم يسمع تعليقًا واحدًا ، على حين تابع الدكتور (وفيق) بأسلوبه المخيف :

ـ عندئذ فقط أُعيد إليكم شمسكم ، مع الاحتفاظ لنفسى بالقدرة على إعادتها إلى زُرقتها وقتما أشاء .

وارتفع ذراعاه ، وهو يصرخ :

ـ اعترفوا بى إمبراطورًا ، وإلّا فالويل لكم .. كل الويل .

تلاشت الصورة تدريجيًّا من (الهولوفيزيون) ، الذى توقَّف بعدها عن البثّ تمامًا ، وبَقِىَ (نور) و (سلوى) و (نشوى) صامتين بعض الوقت ، ثم هتفت (سلوى) فى شحوب :

ـ يا إلهى !! .. هذا المخبول سيدمّر الحياة على كوكبنا .

أجابها (نور) فى صرامة :

ـ لن نسمح له .

سألته (نشوى) فى ذُعر :

ـ وماذا يمكننا أن نفعل يا أبى ؟

صمت لحظة فى تردُّد ، ثم لوَّح بذراعه ، وهتف فى سخط :

ـ لست أدرى بَعْدُ .

لم يكد يتمُّ عبارته ، حتى بدأت ساعته تُومض على نحو عجيب ، وهى تصدر أزيزًا خافتًا ، جعله ينتفض بغتة ، ثم يعقد حاجبيه ، مستطردًا فى حزم :

ـ ولكننا سنجد الوسيلة ، بإذن الله .

واتَّجه إلى حجرة مكتبه ، وأُغلقها خلفه ، ليستمع وحده ، وفى سرِّيَّة تامَّة ، إلى رسالة قائده ..

القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ..

لقد بدأت المعركة ..

معركة (الشمس الزرقاء) ..

* * *



٣ ـ كيف ؟ ..

لم يكد (نور) يُغلق باب حجرة مكتبه خلفه ، حتى انتزع ساعته من حول مِعْصَمه ، وثبّتها فى تجويف خاصّ ، انطبق عليها تمامًا ، على سطح مكتبه ، ثم جلس على مقعده ، يتطلّع إليها فى اهتمام ..

وفى بطء ، تصاعد من السحابة تكوين هلامىّ ، يُشبه سحابة داكنة ، لم يلبث أن تكاثف ، لتتكوّن وسطه صورة هولوجرافية ثلاثية الأبعاد ، للقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، الذى قال فى سرعة :

ـ هل تكوّنت لديك فكرة عامّة عن قضية (الشمس الزرقاء) يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى انفعال :

ـ أجل يا سيّدى ، ولكنها لا تتجاوز ما علمه عنها العامّة .

قال القائد الأعلى فى توتُّر :

ـ إنه أمر بالغ الخطورة يا (نور) ، فذلك المجنون كان أحد

العاملين بالمشروع ، وكان المسئول عن البرنامج الدفاعىّ .. ولقد نجح بوسيلة ما فى إضافة تعديل خاصّ ، على برنامج التشغيل ، ووضع كود سِرّىّ خاصّ ، بحيث أصبحنا عاجزين عن التحكُّم فى تشغيل (مَرْصَد المستقبل) ، أو التحكُّم فيه تمامًا .. والخطورة هنا لا تكمن فيما يمكن أن يصيب الأرض من أضرار ، من جرّاء احتجاب أشعة الشمس الطبيعية عنها ، أو تعرُّضها طويلًا لتلك (الشمس الزرقاء) فحسب ، وإنما أيضًا فى أن العالَم أجمع يوجّه إلينا أصابع الاتّهام ، ويتصوّر أننا مسئولون عمّا حدث ، وأنها لُعبة منّا ، للسّيطرة على العالَم .. ولقد أطلقت (روسيا) و (أمريكا) صواريخها النوويّة ، وأقمارها اللّيزريّة ، نحو (مَرْصَد المستقبل) ، ولكن وسائل الدفاع المتطوِّرة فى المَرْصَد أفسدت فاعلية كل هذا ، والموقف مشتعل فى مجلس الأمن ، وأخشى أننا لو لم ننجح فى احتواء الأزمة ، خلال يومَيْن أو ثلاثة على الأكثر ، فسيعْنِى هذا احتمال نشوب حرب ، بيننا وبين الأمريكيين والرُّوس معًا ، وسيكون من العسير أن نصمد أمامهما .

انتقل توتُّره إلى (نور) ، وهو يقول :

ـ وكيف يمكن تفادى ذلك يا سيِّدى ؟!.. أعْنِى أننا نحتاج إلى الكثير من المعلومات .

أجابه القائد الأعلى فى اهتمام :

ــ لقد أسندت تلك المهمَّة إلى فريقك يا (نور) ، وأمرت بوضع كل الإمكانات اللازمة تحت أيديكم ، وبعدم حجب أيّة معلومات عنكم ، مهما بلغت سِرِّيتها .

رَانَ الصمت لحظة ، ثم أَرْدَفَ القائد الأعلى ، فى صوت يشفُّ عن مدى خطورة الموقف :

ــ لقد طلبت من رجالنا نقل (رمزى) و (محمود) ، إلى قاعدة (نصر) الفضائية على الفور ، حيث سنعتبرها مركز قيادة المعركة ، وعليك أن تلحق بهما مع (سلوى) .

قال (نور) ، مضيفًا :

ــ و (نشوى) .

سأله القائد الأعلى فى دهشة :

ــ ولماذا (نشوى) ؟.. أأصبحت أحد أفراد الفريق ؟

أجابه (نور) :

ــ ليس بعدُ .. ولكن ما دمنا نواجه خطرًا ، يتمُّ التحكُّم فيه بواسطة الكمبيوتر ، من الألف إلى الياء ، فمن الضرورىّ أن تشاركنا المهمَّة خبيرة كمبيوتر .

صمت القائد الأعلى لحظة ، ثم قال :

ــ فلْيَكُن .

ثم أضاف :

ــ فلْيبذُلْ فريقُك كلُّه أقصى ما يمكنه يا (نور) ، فمستقبل (مصر) بين أيديكم .. بل مستقبل العالم كله .

اعتدل (نور) ، وقال فى حزم :

ــ اطمئنّ يا سيِّدى .. لن يصبح ذلك المجنون إمبراطورًا للكوْن أبدًا .

وأردف فى لهجة هى الحزم نفسه :

ــ أبدًا ..

* * *

انحنى (نديم) فى احترام كبير ، أمام سيِّده الدكتور (وفيق) ، وقال فى إعجاب واحترام :

ــ يبدو أننا سننتصر يا سيِّدى .

فوجئ بالرجل يهتف غاضبًا :

ــ يبدو ؟!

ثم لوَّح بذراعيه ، مستطردًا فى حِدَّة :

ــ لقد انتصرنا بالفعل .

تردَّد (نديم) لحظة ، ثم قال :

ــ إنهم لم يستسلموا بَعْدُ يا سيِّدى .

ابتسم (وفيق) فى زَهْو ، وهو يقول :

ــ سيفعلون .

تنهَّد (نديم) ، وهو يتمنَّى لو أمكنه أن يشارك سيِّده ثقته الشديدة بخُطَّته ، ثم غمغم فى قَلَق :

ــ وماذا لو توصَّلوا إلى مخبئنا يا سيِّدى ؟

ارتسمت على شفتى (وفيق) ابتسامة مخيفة ، وهو يقول :

لن يمكنهم ذلك .

ثم أشار إلى كمبيوتر خاصّ إلى جواره ، مستطردًا :

ــ حتى لو فعلوا ، سيوقفهم هذا .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ــ أنسيت أننى أعظم علماء العالَم ، فى برمجة وسائل الدفاع ..

وانطلقت من حنجرته ضحكة مخيفة ..

ضحكة رجل مجنون ..

* * *

اجتمع الفريق كله فى حجرة واسعة ، من حجرات قاعدة (نصر) الفضائية المصرية ، وأطلَّ مزيج عجيب من القلق والحماس من العيون ، حتى بدأ (نور) الحديث ، قائلًا :

ــ قضية اليوم لا تحتاج إلى شرح كثير يا رفاق .. فالأرض كلها تعلم الآن سِرَّ تلك (الشمس الزرقاء) ، التى تُطِلُّ على كوكبنا ، من دون كواكب المجموعة الشمسية ، وقليلون يعلمون أن ذلك المجنون ، الذى تسبَّب فى كل هذا ، كان أحد علماء مشروع (مَرْصد المستقبل) ، وأنَّ العملية كلها قد بدأت من هنا .. من هذا المكان ..

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى حزم :

ــ والمطلوب منَّا هو أن نوقف كل هذا العَبَث .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ــ كيف يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى حزم :

ــ علينا أن نجد الوسيلة يا (رمزى) .. هل تذكرون مهمَّتنا الأولى يا رفاق ؟

لقد كانت تشبه هذه المهمَّة بعض الشىء .. يومها كنا نبحث أيضًا عن إبرة فى كُومَة قش ، وكانت أوَّل مرَّة يتكوَّن فيها هذا الفريق ، ولقد استغلَّ كل منَّا إمكاناته الخاصَّة ، ونجحنا فى مهمَّتنا(*) .

(*) راجع قصة (أشعة الموت) .. المغامرة رقم (١) .

غمغم (محمود) :

ــ وهذه أوَّل مرَّة يجتمع فيها الفريق كله ، منذ فترة طويلة .

قالت (نشوى) فى فخر :

ــ وأوَّل مرَّة أعمل فيها معكم على نحو رسمىّ .

قال (نور) :

ــ هذا صحيح .. والآن دعُونا نترك تلك العواطف والمشاعر جانبًا ، ونبدأ فى مناقشة الخُطَّة .

ثم اعتدل مستطردًا فى اهتمام :

ــ إننا أمام مجنون ، يسعى للسيطرة على العالَم ، وكل ما نعلمه هو أنه قد بدأ مهمَّته من هنا .. فكيف يمكننا ــ فى تصوُّركم ــ إحباط مهمَّته ، أو التوصُّل إليه وتدميره ؟

قالت (نشوى) :

ــ يمكننى أن أعكف على دراسة برنامج الكمبيوتر ، بحثًا عن وسيلة لمعرفة الكود السِّرِّىّ ، الذى استخدمه ، واستعادة التحكُّم والسيطرة على (مرصد المستقبل) .

أجابها (نور) :

ــ هذه هى مهمَّتك بالفعل يا (نشوى) ، وستبدئين عملك الآن .

ثم التفت إلى (رمزى) ، مستطردًا :

ــ قُلْ لى يا (رمزى) : هل من وسيلة نفسيَّة ، لدفع ذلك الرجل إلى كشف نفسه وفضح أوراقه ، أو حتَّى الوقوع فى خطإ ما ، يكشف عن مخبئه .

عقد (رمزى) حاجبيه لحظات ، مفكِّرًا فى عمق ، ثم قال :

ــ بالتأكيد .. فالرجل ــ كما هو واضح ــ مصاب بعقدة العظمة ، وهذا النوع من المرضى النفسانيين لا يبالى كثيرًا باحتياطات الأمن ، حينما يوجه تحدِّيًا صارخًا ، أو محاولة للتقليل من شأنه ، وهذا كفيل بإيقاعه فى خطإ ما .

التفت (نور) إلى (سلوى) ، وقال :

ــ هل يمكنك تعقُّب إشاراته ، الصادرة من مخبئه ، لو أنه فعل ؟

أجابته فى ثقة :

ــ نعم .. يمكننى ذلك .

استدار (نور) إلى (محمود) ، يسأله :

ــ وأنت ؟

أجابه (محمود) بنفس الثقة :

ــ نعم .. يمكننى ذلك .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع أزيز خافت بالحجرة ، وظهرت صورة قائد القاعدة ، على شاشة التليفيديو ، وهو يقول فى توتُّر :

ـ راجعوا شاشات (الهولوفيزيون) أيها السادة ، فذلك المجنون يذيع بيانًا جديدًا .

أسرع (محمود) يشعل (الهولوفيديو) ، وتطلَّع الجميع إلى صورة (وفيق) المجسَّمة ، بثوبه الأزرق ، وحرملته الحمراء الزاهية ، وذلك البريق الجنونىّ فى عينيه ، وهو يقول فى عظمة جنُونية :

ـ اسمعوا يا أهل الأرض .. من سوء حظكم أننى لا أتميَّز بالصبر ؛ لذا فلن أنتظر وصولكم إلى قرار طويلًا .. سأمهلكم حتى مساء الغد فقط ، فإمَّا أن تنادوا بى إمبراطورًا على كوكب الأرض ، أو أبدأ حملتى التأديبية ضدكم .. هل تسمعون ؟

انطلقت ضحكته الجنونية مجلجلة ، وصورته تتلاشى تدريجيًّا ، وصوته يبتعد ، وهو يقول :

ـ يوم واحد فقط .. هل تسمعون ؟ .. يوم واحد فقط ..

غمغم (نور) فى حَنَق :

ـ ذلك الوغد المجنون !



أسرع (محمود) يشعل (الهولوفيديو) ، وتطلَّع الجميع إلى صورة (وفيق) المجسَّمة ، بثوبه الأزرق ..

ثم التفت إلى رفاقه ، مستطردًا :

ـ لقد ازداد تأزُّم الموقف يا رفاق ، وانكمشت المهلة الممنوحة لنا إلى أربع وعشرين ساعة ، و .....

بتر عبارته بغتة ، وعقد حاجبيه فى غضب ، عندما رأى (سلوى) منهمكة فى متابعة شاشة جهازها ، فقال فى توتُّر :

ـ (سلوى) .. هل تستمعين إلىَّ ؟

زاد من ضيقه أنها لم تلتفت إليه وهو يتحدَّث إليها ، فهتف بها :

ـ (سلوى) .

انتفض جسدها ، كأنَّما قد بوغتت بالنداء ، وقالت فى توتُّر :

ـ لحظة يا (نور) .

صمت الجميع ، وهم يتطلَّعون إليها فى دهشة ، حتى رفعت رأسها عن شاشة جهازها ، وتهلَّلت أساريرها ، وهى تقول :

ـ لقد توصَّلت إليه .

هتف (نور) :

ـ ماذا تعنين ؟

ابتسمت فى ظَفَر ، وهى تقول :

ـ لقد التقطت موقع البثِّ الهولوجرافىِّ .. يبدو أننا سنحقِّق النصر بسرعة يا رفاق .

★ ★ ★



٤ ــ الخطأ ..

« لقد فشلنا .. » ..

نطق (نور) تلك العبارة فى مرارة ، وهو يشير إلى النقطة ، التى حدَّدها جهاز (سلوى) ، التى عقدت حاجبيها فى ضيق ، وهى تقول :

ــ وكيف كان لى أن أتوقَّع ذلك ؟

ثم لوَّحت بذراعها فى سخط ، وهى تستطرد :

ــ إن (وفيق) هذا شيطان ، على الرغم من جنونه .

قال (رمزى) فى هدوء :

ــ الجنون لا يَغنى الغباء يا (سلوى) .

هتف (محمود) :

ــ ولكن هذا الرجل يبدو وكأنه يقف على ذلك الخيط الفاصل ، ما بين العبقرية والجنُون .. فلقد استخدم وسيلة عبقرية بحق ، لمنع أى مخلوق من تتبع إشارات رسالته ، فهو يبثُّها إلى القمر الصناعىّ ، الخاص بـ (أنباء الڤيديو) ، ويترك لهذا الأخير مهمَّة بثِّها للعالَم أجمع .

غمغمت (سلوى) فى حَنَق :

ــ وهكذا لا تلتقط كل الأجهزة سوى البثّ المرسل من القمر الصناعىّ .

رَانَ الصمت لحظات ، ثم قال (نور) فى حزم :

ــ لن يمكنه أن يهزم عقولنا كلها بعقله وحده .

ثم استطرد فى اهتمام ، جذب الآخرين إليه :

ــ إن (نشوى) منهمكة الآن فى فحص برنامج الكمبيوتر ، واستخدام التباديل والتوافيق ، للتوصُّل إلى الكود السرِّىّ الجديد ، للسيطرة على (مَرْصد المستقبل) .. وعلينا نحن أن نستخدم ذكاءنا ومهارتنا ، لدفع ذلك الشيطان إلى إتيان خطإ واحد ، يمكِّننا من معرفة مخبئه .

سألته (سلوى) فى مرارة :

ــ أمن الضرورىّ أن نصل إليه ؟

أجابها فى حزم :

ــ نعم .. فالوْصول إلى (مرصد المستقبل) لن يستغرق أقلّ من أسبوع كامل ، وإنهاء مشكلة (الشمس الزرقاء) مستحيل ، إلّا بالتوصُّل إلى المَرْصَد الفضائىّ ، وتدميره ، أو التوصُّل إلى ذلك المجنون ، واعتقاله .. وأعتقد أن فرصة نجاح الاحتمال الثانى أكبر .

زفر (محمود) فى ضيق ، وهو يقول :

ــ يا إلٰهى !.. كم أتمنَّى ، فى هذه اللحظة ، لو أن كل هذا المشروع لم يكن .

انعقد حاجبا (نور) فى شِدَّة ، فور سماعه عبارة (محمود) ، وهبَّ من مقعده ، هاتفًا :

ــ يا إلٰهى!!.. لقد أعطيتنى خُطَّة رائعة يا (محمود) .

هتف (محمود) فى دهشة :

ــ أنا ؟!

أجابه (نور) فى حماس :

ــ نعم يا عزيزى .. أنت .

ثم استدار إلى (رمزى) ، وسأله فى انفعال :

ــ قُلْ لى يا (رمزى) : من أين تتوقَّع أن يدير ذلك المجنون معركته ؟.. من خارج (مصر) ، أم من داخلها ؟

تردَّد (رمزى) لحظة ، ثم قال فى حسم :

ــ بل من داخلها ، فجنون العظمة ، الذى يحكم تصرُّفاته ، يدفعه إلى تأكيد تفوُّقه داخل المكان الذى شهد طفولته أوَّلًا ، فالمصاب بهذا المرض يكون عادةً مُضطهَدًا ، يغلب عليه شعور النقص فى طفولته ، وهذا ما يدفعه إلى التفوُّق ، وإلى الجنون ..

تألَّقت عينا (نور) فى حماس ، وهو يقول :

ــ فى هذه الحالة يمكننى إجباره على ارتكاب ذلك الخطإ ، الذى نتمنَّاه .

هتف به رفاقه فى لهفة :

ــ كيف ؟

ابتسم ، وهو يقول :

ــ لن يكون أمامه سبيل آخر .

ثم اندفع نحو جهاز التليفيديو ، وضغط أزراره فى حماس ، فتكوَّنت على الشاشة صورة الدكتور (عبد الله) ، مدير مركز الأبحاث العلمية ، التابع لإدارة المخابرات ، والذى بادر (نور) قائلًا :

ــ ماذا لديك هذه المرَّة يا (نور) ؟

أجابه (نور) فى اهتمام :

ــ أريد معاونة مركز الأبحاث بكل طاقته .

أجابه الدكتور (عبد الله) على الفور :

ــ المركز كله فى خدمتك يا (نور) .

مال (نور) نحو الشاشة ، وهو يقول فى انفعال :

ــ اسمعنى جيِّدًا إذن يا دكتور (عبد الله) .. أريد منك

أن تجنّد كل وسائل الاستطلاع الخاصّة ، لالتقاط إشارة صادرة من مكان ما ، فى جمهورية (مصر) العربية ، ومتجهة نحو (مَرْصَد المستقبل) ، وتحديد موقع صدور تلك الإشارة بمنتهى الدّقّة ..

عقد الدكتور (عبد الله) حاجبيه ، وهو يقول :

ــ إنه أمر عسير ، ولكنه ليس مستحيلًا يا (نور) .. ماذا تطلب أيضًا ؟

تألّقت عينا (نور) ، وهو يقول :

ــ قطع التيار الكهربىّ تمامًا ، عن قاعدة (نصر) الفضائية .

هتف الدكتور (عبد الله) فى دهشة واستنكار :

ــ ماذا ؟.. رُوَيْدَك يا (نور) .. إن ما تطلبه كفيل بإحالتى إلى محاكمة عسكرية .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ــ اطمئنّ يا دكتور (عبد الله) ، لن يؤدّىَ هذا إلّا لحصولك على وسام على الأرجح

هتف الدكتور (عبد الله) فى دهشة :

ــ ماذا ؟

ثم هزَّ رأسه فى حَيْرَة ، مغمغمًا :

ــ ما الذى تسعى إليه بالضبط يا (نور) ؟

عادت عينا (نور) تتألّقان ، وهو يقول :

ــ إننى أسعى إلى دفع الشيطان إلى أن يكشف لنا الطريق إلى الجحيم يا سيِّدى ..

ولم يدر لحظتها كم كانت عبارته صادقة ..

لقد كان الطريق إلى مخبإ (وفيق) هو الطريق إلى الجحيم بالفعل ..

* * *

ملأ (وفيق) كأسه بنوع نادر من الخمر ، ورفعها عاليًا ، وهو يهتف فى زهْو :

ــ نخب إمبراطور العالَم المقبل .

غمغم (نديم) بالنخب نفسه ، ورشف رشفة من كأسه ، على حين جرع (وفيق) كأسه كلها دفعة واحدة ، واحتقن وجهه لحظات ، قبل أن ينفجر ضاحكًا ، وهو يقول :

ــ سأمنح صاحب هذا الخمر وسامًا ، عندما أصبح إمبراطورًا للأرض .

تنهّد (نديم) فى صوت مسموع ، وأعاد كأسه إلى موضعها فى بطء ، فابتسم (وفيق) ، وهو يقول له :

— أما زلت تشكُّ فى استسلامهم لنا ؟
تنهَّد (نديم) مرَّة أخرى ، وقال :
— إننى أثق بك تمامًا يا سيِّدى ، وإلَّا فما غامرت بمستقبل كله ، وتبعتك إلى هذا الأمر .
ارتسمت ابتسامة واسعة على شفتى (وفيق) ، وهو يقول :
— لن تندم على ذلك أبدًا يا (نديم) .. ستكون وزيرى الأوَّل .
مطَّ (نديم) شفتيه ، وهو يقول :
— كنت أحلُم بما هو أكبر من ذلك فى الواقع يا سيِّدى .
أطلق (وفيق) ضحكة عالية ، وهو يقول :
— أنت تريد حكم (مصر) .. أليس كذلك ؟
تألَّقت عينا (نديم) فى جشع، وهو يومئ برأسه إيجابًا ، فابتسم (وفيق) ، ولوَّح بكفِّه فى عظمة ، قائلًا :
— لك ذلك .
تهلَّلت أسارير (نديم) ، كأنما قد حصل بالفعل على حكم (مصر) ، وهتف فى سعادة :
— شكرًا يا سيِّدى .. شكرًا لك .. اعتبرنى خادمك المطيع دومًا .

ابتسم (وفيق) فى سخرية ، وهو يقول :
— إننى أعتبرك كذلك .
لم يكد يتمّ عبارته ، حتى أخذ مصباح أحمر كبير ، مثبت فوق شاشة الراصد الفضائىّ ، يضىء وينطفئ فى سرعة وتعاقب ، وهو يطلق صفيرًا متقطعًا ، فشحب وجه (نديم) ، وانكمش فى مكانه ، وهو يهتف فى امتقاع :
— ماذا حدث يا سيِّدى ؟.. ماذا حدث ؟
هبَّ (وفيق) من عرشه الزجاجىّ ، وقال فى حِدَّة :
— لقد قطع هؤلاء الأوغاد كل اتصال بين القاعدة و (مَرْصَد المستقبل) .
هتف (نديم) فى ذُعْر :
— ياللشيطان !!.. إذن فقد انتصروا .. لقد حطَّموا خُطَّتنا .
صاح به (وفيق) فى حزم :
— صَهْ أيها الجبان .. إنهم لم ينتصروا بعد .
غمغم (نديم) فى صوت أقرب إلى الانهيار :
— كيف ؟!.. المفروض أننا وحدنا نتحكَّم فى برنامج الكمبيوتر المعدَّل ، ووحدنا يمكننا قطع الاتصال بين القاعدة

والمرصد ، وما داموا هم قد نجحوا فى ذلك ، فهذا يَعْنِى أنهم قد توصَّلوا إلى الكود السِّرِّىّ للبرنامج .

صاح (وفيق) فى حَنَق :

ـ كلَّا أيها الغبىّ .. لقد قطعوا التيار الكهربىّ عن القاعدة فحسب ، فأوقفوا كل أجهزة الكمبيوتر عن العمل ، ولكننى سأصيبهم بصدمة قاسية .

واندفع نحو ركن متخم بالأجهزة الإليكترونية الحديثة ، وراح يضغط أزرار الأجهزة تباعًا فى سرعة ، وهو يقول :

ـ سأشعل وحدة التحكُّم الخاصة بى .. لقد أصبحت بفعلتهم هذه أملك السيطرة التامَّة على المَرْصَد .

ولكنه لم يدر أنه قد وقَع بذلك فيما كان ينتظره (نور) .. وقع فى الخطإ ..

* * *



٥ ـ الجحيم ..

تألَّقت عينا (نور) فى ظَفَر ، عندما نقل إليه الدكتور (عبد الله) ، ذلك الموقع الذى رصدته أجهزة الاستطلاع الجوِّىّ ، والذى انبعثت منه إشارة التحكم فى المَرْصَد ، وقال فى انفعال :

ـ هذا هو مخبأ ذلك المجنون يا دكتور (عبد الله) .. مُرْ مقاتلينا بمهاجمته على الفور .

خفقت قلوب أفراد الفريق ، وهتف الدكتور (عبد الله) فى توتُّر :

ـ أليس من المخاطرة أن نفعل ذلك يا (نور) ؟.. إن هذا الرجل يملك السيطرة على المَرْصَد .

هزَّ (نور) رأسه ، وهو يجيب :

ـ لقد فعل ذلك المجنون كل ما يمكنه أن يفعله يا سيِّدى ، ولن يضيف جديدًا .. هيَّا .. هاجموا على بركة الله .

وأنهى الاتصال ، والتفت إلى رفاقه ، الذين هتفوا فى سعادة :

ـ مَرْحَى يا (نور) .. لقد كان أسرع انتصار فى حياتنا .

ابتسم (نور) فى ثقة ، وهو يقول :

ـ إننا لم ننتصر بَعْدُ يا رفاق .

هتفت (سلوى) :

ـ ولكننى أومن بنظريتك يا (نور) .. لم يعُد ذلك المجنون يملك ما يفعله .. لقد كان يعتمد تمامًا على شمسه الزرقاء ، وأظن أن تدميره سيمنح لـ(نشوى) الوقت الكافى لفتح البرنامج ، وإلغاء التعديل الشيطانىّ ، الذى أضافه إليه .

وافقها (نور) بإيماءة من رأسه ، وابتسم وهو يقول :

ـ إنه لم يكن عبقريًّا كما تصوَّرنا .

ضحك (محمود) ، وهو يقول :

ـ بل أنت العبقرىّ يا (نور) .. لقد استنتجت أنه لن يهمل احتمال قطع التيار الكهربىّ عن القاعدة ، لإفساد برنامجه ، وأنه يملك بالضرورة برنامجًا احتياطيًّا ، وهذا ما عاون على تحديد مخبئه .

ابتسم (نور) فى ارتياح ، دون أن ينبس ببنتِ شفَة ، واسترخى فى مقعده ، قائلًا .

ـ لم يَعُد أمامنا الآن سوى الانتظار يا رفاق ، حتى يصل إلينا خبر زوال الخطر .

ثم اتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

ـ لقد انتصرنا يا رفاق ..

* * *

كان (نور) شديد التفاؤل هذه المرَّة ..

بل لقد كان الجميع كذلك ..

الدكتور (عبد الله) ، والقائد الأعلى للمخابرات العلمية ، وقادة المقاتلات النووية ، الذين أُسندت إليهم مهمَّة الهجوم على وَكْر الشيطان ..

الجميع كانوا يحملون فى قلوبهم التفاؤل فقط ..

حتى بدأ الهجوم ..

لقد انقضَّت المقاتلات النوويَّة على المَوْقع ، وقادتها يتصوَّرون أنهم قد خرجوا فى نزهة أنيقة ، لتدمير هدف بسيط ، ثم العودة إلى قواعدهم ظافرين ..

ولكن فجأة .. انطلقت خمسة خيوط من أشعة اللّيزر ، أصابت خمس مقاتلات بغتة ، وأسقطتها بأسرع مما استوعب قادة المقاتلات الثلاث الأخرى الموقف ..

وهتف قائد سرب الهجوم :

ــ إننا نتعرَّض لهجوم .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى كان ذلك الصاروخ الصغير ، الذى انطلق من الموقع ، قد غاص فى أسطوانة العادم بمقاتلته ، وانفجر الاثنان فى عنف ..

وهنا أطلقت المقاتلتان الباقيتان أشعتهما اللَّيزرية القاتلة نحو الموقع ، ولكن عدَّة مرايا مصقولة برزت فجأة من بين الرمال ، واستقبلت أشعة اللَّيزر على أسطحها اللامعة ، وعكستها فى قوّة ، فأصابت المقاتلتين ، وفجَّرتهما على الفور ..

وجُنَّ جُنون القيادة ، فأطلقت سربين آخرين لتدمير الموقع ..

وهنا عادت صورة (وفيق) تحتل شاشات كل أجهزة (الهولوفيزيون) فى العالَم ، وهو يقول فى غضب :

ــ حَذارِ من مهاجمة مقرّ قيادتى .. إنه مجهَّز بأحدث الوسائل الدفاعية .. لاتنسَوْا أننى خبير فى هذا المجال .. تراجعوا وإلَّا انقضَّ عليكم الجحيم من السماء .

لم تبالِ المقاتلات بتهديده ، وانقضَّ السِّربان على موقعه فى إصرار ، وقد قرَّرا تحطيمه تمامًا ، قبل أن يجد الفرصة لتشغيل وسائله الدفاعية ..

وفجأة .. شعر قادة المقاتلات بالنيران تشتعل فى أجسادهم ، وصرخ قائد السربين فى ألم :

ــ كل شىء يشتعل حولنا .. كل شىء يـ ......

وفجأة .. وقبل أن يتمَّ عبارته ، تحوَّلت مقاتلات السِّرْبَيْن إلى كُرَات من اللَّهب ، وهَوَت مشتعلة ..

لقد أتى الجحيم حقًّا من السماء ..

من (الشمس الزرقاء) ..

* * *

« استَسْلِمُوا .. لاقِبَلَ لكم بمواجهتى .. لاأمل لكم فى مجابهتى .. لقد اتخذت لكل شىء عُدَّته .. لقد زوَّدت العدسة العملاقة ببرنامج خاص ، يمكِّننى من التحكُّم فى درجة تحدُّبها ، وبالتالى فى بعدها البؤرىّ ، بحيث يتركَّز الإشعاع كله فى نقطة واحدة ، يمكننى تحديدها بدقة بالغة ، على أيَّة نقطة من سطح الأرض .. سأحرقَ مدنكم لو اقتربتم منّى .. سأحيل أوطانكم إلى جحيم .. انظروا ماذا فعلت بكم .. انظروا .. لامفرَّ من استِسْلامكم .. لامفرّ » ..

توتَّرت كل عضلة من عضلات وجه (نور) ، وهو يشاهد تلك المشاهد البشعة ، التى تتابعت على شاشة (الهولوفيزيون) ، مع صوت (وفيق) ، وضحكاته الظافرة الشيطانية ..

عشرات المدن تحترق بأشعة (الشمس الزرقاء) القاتلة ..

آلاف الضحايا يشتعلون كجمرات من النار ، فى مختلف أنحاء العالم ، بلا رحمة أو شفقة ..

ودفن (نور) وجهه بين كفَّيه ، وجسده كله يرتجف فى ألم ومرارة ..

كان يجلس بين رفاقه كلهم ، ولكنه كان كمن لا يشعر بوجودهم ..

لم يكن يشعر حتى بأنه حىّ ..

كان صراخ عشرات الضحايا الأبرياء يدوِّى فى أذنيه ..

أنات وتوسُّلات ونحيب النساء والأطفال يمزِّق صدره ..

كان قلبه يَدْمَى فى مرارة ..

كان يبكى فى ألم ..

(نور) الذى يبغض الدمار ، كان يرى نفسه مسئولًا عن كل هؤلاء الضحايا ، الذين أحرقهم (وفيق) دون وازع من ضمير ..

كان يرى نفسه مسئولًا ، لمجرَّد أنه هو الذى أمر بالهجوم ..

إنه لم يكن يعلم أنه يواجه رجلًا خلت نفسه من أدنى مشاعر الرحمة ..



ودفن (نور) وجهه بين كفَّيه ، وجسده كله يرتجف فى ألم ومرارة ..

لم يكن يدرى أنه يواجه شيطانًا ..
ولكنه الآن قد علم ، وأدرك ، وفهم ..
كيانه كله أدرك تلك الحقيقة القاسية ..
أدرك أنه لا مجال للرحمة فى الجحيم ..
وطال صمت (نور) ..
طال ، دون أن يجرؤ أى من رفاقه على قطع صمته ..
وأخيرًا .. اعتدل (نور) ..
كانت عيناه تلتمعان ببريق نهر من دموع ، احتجزتها كرامته فى أعماقه ، فبقى لمعانها مختلطًا بالألم والمرارة فى عينيه ..
ووسط ذلك البريق ، كان هناك وميض قوىّ ..
وميض عزيمة قويَّة ، لا تستسلِمُ ولا تلين ..
وفى خُفوت ، سأل (نور) (رمزى) :
ـ كيف يمكن استفزاز ذلك الحقير يا (رمزى) ؟
سأله (رمزى) فى توتُّر :
ـ ماذا تقصد ؟
التفت إليه (نور) ، وهو يقول فى صرامة مخيفة :
ـ أقصد كيف يمكننى أن أدفعه لمخالفة قواعد الحذر ، والخروج لملاقاتى علانيةً ؟

تطلَّع إليه الجميع فى قلق وتوتُّر ، وغمغم (رمزى) :
ـ إنه أمر محفوف بالمخاطر يا (نور) ، و ......
قاطعه (نور) فى صرامة :
ـ كيف يا (رمزى) ؟
كان من الواضح أن (نور) قد باتَ يكره هذا الشيطان ، إلى حدّ أنه يرفض أن يضيع الوقت ، قبل أن يواجهه ؛ لذا فقد تنهَّد (رمزى) ، وأجابه فى استِسْلَام :
ـ يمكنك أن تتحدَّاه علانية يا (نور) .
عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول :
ـ أأنت واثق من أن هذا يكفى لاستفزازه ؟
أجابه (رمزى) فى ثقة :
ـ نعم .
ثم استدرك (رمزى) فى اهتمام :
ـ ولكن ينبغى أن تعلم حقيقة هامَّة ، فى هذا الشأن .. إن المصابين بجُنون العظمة (البارانويا) ليسوا أُمَناء ، أو شُرَفَاء فى قتالهم ، فهم يلتزمون بالقواعد فقط عندما يكونون منتصرين .. أمَّا لو لاح لهم شبح الهزيمة ، فهم يلقون بكل شىء خلف ظهورهم ، ويقرِّرون أن ينتصروا ، مهما كانت الوسائل .

استمع إليه (نور) فى اهتمام ، ثم قال فى هدوء :

ـ سأذكر ذلك جيّدًا .

والتفت إلى جهاز (التليفيديو) ، وراح يضغط أزراره فى هدوء ، فهتفت (سلوى) :

ـ عجبًا !!.. إنك تتصل بـ (أبناء الفيديو) .

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ هذا هو الإجراء الطبيعىّ .

ثم التفت إلى رفاقه ، مستطردًا فى صرامة :

ـ سأتحدّى ذلك الشيطان ، على الهواء مباشرة ..

* * *



٦ ـ التحدِّى ..

جرع (وفيق) كأسه دفعة واحدة ، فاحتقن وجهه ، واحمرَّت عيناه وأنفه ، قبل أن يبتسم ابتسامة شيطانية واسعة ، ويقول :

ـ لقد جعلونا نكشف الأوراق يا (نديم) ، وأنا أفضّل ذلك كثيرًا ، فالقتال العلنىّ خير دليل على تفوّقنا .

ابتسم (نديم) فى ثقة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد يا سيِّدى .. ولقد كان بيانك الأخير يكفى ، ليرتجف العالم كله تحت قدمَيْك .

أسبل (وفيق) جفنيه ، وقال وصوته يحمل نشوة النصر :

ـ كان من الضرورىّ أن ألقِىَ هذا البيان ، حتى يعلموا ما الذى يمكن أن يحدث ، لو أنهم استغلُّوا الليل لمهاجمتى .. كان من الضرورىّ أن يعلموا أننى قد زوَّدت المرصد ببرنامج خاصّ ، يجعله يصاب بالجنون عندما تتوقّف الإشارات ، التى أرسلها له من هنا ، فتحرق الأرض ومن عليها .. كان من الضرورىّ أن يعلموا ذلك .

ضحك (نديم) ، وهو يقول :

ـ لقد صِرْنا فى مأمن هنا .. لن يجرءُوا على مهاجمتنا قطُّ .

كان (نديم) يتوقَّع ضحكة من سيِّده ، أو استحسانًا ، إلَّا أنه فوجئ به يعقد حاجبيه ، ويشير إلى (الهولوفيزيون) ، قائلًا فى حِدَّة :

ـ ارفع صوت هذا الجهاز اللَّعين .. يبدو أنهم سيذيعون بيانًا .

أسرع (نديم) يرفع صوت (الهولوفيزيون) ، ثم عاد يقبع تحت قدمَىْ سيِّده ، يستمع معه إلى (مشيرة محفوظ) ، وهى تقول :

ـ طابَ مساؤكم أيها السيدات والسادة .. أخيرًا اتحد العالَم فى فكرة واحدة ، ورأى واحد ، تحت أشعة شمس زرقاء ، فكل مخلوقات الأرض ، من أقصاها إلى أقصاها ، لا تفكِّر سوى فى (الشمس الزرقاء) ، التى غيَّرت كل المفاهيم .. حتى الحيوانات ، والشعوب البدائية ، ارتجفت رعبًا ؛ لغياب الشمس التى نعرفها .. وهنا فى (أنباء الفيديو) ، يوجد شاب عنيد ، يأبى أن يشارك الجميع مخاوفهم ، وأن يَسْتَسْلِم مثلهم لما حدث ، وهذا الشاب

تعرفونه جميعًا ، فهو الرائد (نور الدين) ، من المخابرات العلمية المصرية ..

لم تكد تصل إلى هذه النقطة ، حتى ملأت صورة (نور) الشاشة ، وهو يقول فى حزم صارم :

ـ اسمعنى جيِّدًا يا دكتور (وفيق) .. أعلم أنك تتابع برامج (أنباء الفيديو) ، لتشبع غرورك ، ومرض العظمة فى أعماقك ، وأنك تستمع إلىَّ الآن .

ومال وجه (نور) إلى الأمام ، وهو يقول فى قوَّة :

ـ إننى أتحدَّاك .

ارتفع حاجبا (وفيق) فى دهشة واستنكار ، وهتف فى استِهْجَان :

ـ يا للمغرور !!

على حين تابع (نور) فى صرامة :

ـ إنك لم تخطئ سماع الكلمة يا دكتور (وفيق) ، ولم تُسِئ فهمها .. إننى حقًّا أتحدَّاك .. بقدراتى وحدى ، وبمسدَّسى اللِّيزرىّ وحده .

رفع (وفيق) حاجبيه ، وعاد يخفضهما ، وهو يغمغم فى عصبيَّة :

ـ من يظن نفسه هذا الشاب ؟

كان (نور) يتابع فى قوّة وصلابة :

ـــ سأصل إلى مخبئك يا (وفيق) ، وسأحطِّم عنقك .. هل تسمعنى ؟.. سأحطِّم عنقك يا (وفيق) .

هبَّ (وفيق) من مقعده ، وقال فى حِدَّة :

ـــ اللَّعنة !

ثم اتجه نحو شاشة بلَّوريَّة ، جلس على مقعد جلدىّ أمامها ، وضغط عدَّة أزرار عند قاعدتها ، فاحتلت صورته شاشات كل أجهزة (الهولوفيزيون) فى العالَم ، وهو يقول :

ـــ أخطأت بتحدِّى إمبراطورك القادم يا فتى ، ولكننى أقبل التَّحدِّى .. أقبله لأثبت للعالَم أجمع أنك لا تساوى شيئًا ، وأنك مجرَّد هباء منثور .. سأنتظرك فى مقرِّى الإمبراطورىّ المؤقَّت الحالى ، مع أول أضواء الفجر ، وكل ما أطلبه منك هو أن تنجح فى الوصول إلىَّ .. ولو أنك نجحت ، فسأتنازل لك عن إمبراطورية الأرض .. ولا تفرح بسرعة ، فأنت لن تنتصر .. لن تنتصر أبدًا .

وردَّدت جدران مخبئه صدى ضحكاته الشيطانية الجنونية ، وهو يُنهى الاتصال ، ويلتفت إلى (نديم) ، قائلًا :

ـــ يبدو أن هذا الرائد يحتاج إلى برنامج دفاعىّ جيِّد .

وارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يستطرد :

ـــ ومبتكر ..

* * *

انتفض جسد (نشوى) فى قوّة ، عندما أتاها صوت هادئ من خلفها ، وهى منهمكة فى فحص برنامج الكمبيوتر ، يقول :

ـــ هل توصَّلت إلى شىء ؟

التفتت فى سرعة إلى مصدر الصوت ، وزفرت فى قوّة ، وهى تهتف :

ـــ أهو أنت يا أبى ؟

اقترب منها (نور) فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ نعم يا عزيزتى .. إنه أنا .

وصمت وهلة ، قبل أن يستطرد فى خفوت :

ـــ لقد أردت رؤيتك قبل أن .....

بتر عبارته ، وأطلَّ من عينيه حزن عميق ، فاغرورقت عيناها بالدموع ، وتعلَّقت بعنقه ، وهى تقول فى مرارة :

ـــ أمن الضرورىّ أن تمضى فى ذلك التحدِّى حتى نهايته يا أبى ؟

ربَّت على كتفها فى حنان ، وهو يقول :

ـــ بالتأكيد ياعزيزتى .. إنه الأمل الوحيد .

هتفت فى حزن :

ـــ مَنْ يدرى ؟.. قد يمكننى أن أحرِّر برنامج الكمبيوتر قبل ذلك .

ابتسم فى إشفاق ، وهو يغمغم :

ـــ نعم .. مَنْ يدرى ؟

ثم عاد يربِّت على كتفها ، قائلًا :

ـــ هيَّا ياعزيزتى .. لن أعطِّلك عن عملك ، فقد تنقذ ثانية واحدة مبكِّرة حياة العشرات أو المئات .

غمغمت فى خفوت :

ـــ أو الملايين .

أومأ برأسه موافقًا ، وهو يردِّد مثلها :

ـــ أو الملايين .

وابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يلوِّح بيده ، ويغادر المكان ..

وهنا انهمرت الدموع من عينيها ..

شىء ما فى أعماقها كان يرتجف ..

وشىء ما أنبأها بما ارتجف له جسدها كله ..

أنبأها بأنها لن تلتقى به مرَّة أُخرى ..

أبدًا ..

* * *

وقفت (سلوى) صامتة ، تتطلَّع إلى القمر الداكن ، من خلف زجاج نافذة حجرة الفريق بالقاعدة الفضائية ، لتخفى دموع خوفها على زوجها (نور) ، وسمعته من مكانها ، يقول لـ(رمزى) و (محمود) :

ـــ الخُطَّة مُحْكَمة للغاية يا رفاق .. سننقسم إلى ثلاث فرق .. فرقة عبارة عن (نشوى) وحدها ، ومهمَّتها تقتصر على محاولة استعادة السيطرة على برنامج الكمبيوتر .. وفرقة ثانية تتكوَّن من (سلوى) و (محمود) ، ومهمَّتها هى محاولة تلافى جنون عدسة المَرْصَد العملاقة ، إذا ما نجحت أنا و (رمزى) ـــ ونحن الفرقة الثالثة ـــ فى اقتحام مخبإ ذلك الشيطان ، والسيطرة عليه . .

صمت لحظة ، ثم التفت إلى (سلوى) ، قائلًا :

ـــ أتتابعين حديثنا يا (سلوى) ؟

أجابته فى خفوت :

ـــ نعم .

كانت إجابتها عادية تقليدية ، ولكن حروفها الثلاثة كانت تقطر دمًا وتبكى ألمًا وحزنًا ، حتى أن (نور) تطلّع إلى رفيقيه فى صمت ، ثم نهض إليهما .. ولم يكد يضع يده على كتفها فى حنان ، حتى أجهشت بالبكاء ، وغمغمت فى مرارة :

ـــ لماذا أنت دومًا ؟

همس فى إشفاق :

ـــ لأنه من الضرورىّ أن يوجد من يضحّى من أجل الآخرين .

قالت فى ألم :

ـــ ولماذا يكون هذا الشخص هو أنت دَومًا ؟

ابتسم فى شحوب ، وهو يغمغم :

ـــ إنه قَدرى .

أشاحت بوجهها ، وتركت لدموعها العنَان ، فأضاف فى خفوت :

ـــ ولأننى أحبك أنت و (نشوى) ، وأرفض أن تحيا أيتكما ، فى عالَم يحكمه مجنون .

تمتمت بحروف باكية :

ـــ أعلم ذلك .. إننى أفهمك جيّدًا .

ربَّت على كتفها فى حنان ، وقال فى خفوت :

ـــ لقد حان الوقت .. ينبغى أن أذهب .. فَستشرق الشمس بعد قليل .

ازدردت غُصّة فى حلقها بصعوبة ، قبل أن تغمغم :

ـــ اذهب .. اذهب يا (نور) .

تنهَّد فى عُمْق ، ثم ابتعد عنها فى خطوات بطيئة ، لم تلبث أن تسارعت ، وهو يتجه مع (رمزى) نحو ساحة المعركة ، ولم يكد يغلق الباب خلفهما ، حتى انهمرت دموع (سلوى) فى غزارة ، وهى تغمغم :

ـــ وداعًا يا (نور) .. وداعًا .

وفى أعماقها أيقنت من أنه فى طريقه إلى حتفه .. إلى الموت نفسه ..

* * *

٧ ـ القتال ..

سرَت قُشَعْرِيرة باردة فى جسد (نور) ، وهو يقف فوق تبّة رملية متوسّطة الارتفاع ، يتطلّع إلى موقع مخبإ (وفيق) ، وقد تلوّن الشفق خلفه بألوان داكنة ، تبشّر بقرب شروق الشمس وبدء رحلتها فى السماء .

وفى الماضى .. قبل أن يحوّل (وفيق) أشعة الشمس إلى ذلك اللون الأزرق الكئيب ، كان الشّفق يتلوّن ، فى ذلك الوقت ، بألوان رائعة ، تذوب لها القلوب انبهارًا ..

ثم أشرقت (الشمس الزرقاء) ..

سقط أوّل أشعتها داكنًا ، على رمال الصحراء الغربية ، وتسلّل بين قدمى (نور) ، الذى توتّرت كل عضلة من عضلاته ، ووقف ينتظر بدء معركته مع وكر الشيطان ..

وفى بطء ارتفعت قطعة من رمال الصحراء ..

ارتفعت فى هدوء ، وبرزت من أسفلها أسطوانة معدنية لامعة ، يقبع فوقها جسم شبه مستدير ..

ثم تحرَّك ذلك الجسم ، وسار على جنازير قويّة إلى الخارج ، ووقف ساكنًا ، حتى عادت تلك القطعة من رمال الصحراء إلى موضعها ، ثم برزت من جانبيه أسطوانتان رفيعتان ..

وأدرك (نور) من النظرة الأُولى ماذا يواجهه ..

لقد كان ذلك الجسم ، شبه المستدير ، عبارة عن مقاتل آلىّ رهيب ، لا يعرف رحمة أو شفقة ..

مقاتل آلىّ يحمل مِدْفَعَىْ ليزر ، ومئات القذائف المغناطيسية ..

وكان على (نور) أن يواجه وحده ذلك المقاتل ، وهو لا يحمل سوى مسدّسه اللّيزرىّ ..

وكان ذلك أشبه بحكم قاسٍ ..

حكم بالإعدام ..

* * *

انهمكت (سلوى) فى وضع اللمسات النهائية على جسم بالغ الدِّقّة ، فى حجم عملة معدنية صغيرة ، ثم اعتدلت ، وجفّفت عرقًا وهميًا عن جبهتها ، وهى تقول فى صوت خافت ، تشع منه نبرات اليأس والمرارة :

ـ لقد انتهيت .



وكان على (نور) أن يواجه وحده ذلك المقاتل ، وهو لا يحمل سوى مسدسه الليزرى ..

أمسك (محمود) الجسم الصغير ، وتفحصه فى اهتمام ، ثم سألها فى قلق :

ـــ أأنت واثقة من دِقَّة عمله ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهى تقول :

ـــ تمام الثِقة .

وتنهَّدت فى عمق ، قبل أن تستطرد :

ـــ إنه دقيق للغاية ، وصغير الحجم إلى حدٍّ يصعب معه التقاطه ، حتى بواسطة أدقِّ أجهزة الرَّادار ، ومهمَّته تقتصِرُ على أن يلتقط الإشارات المنتظمة ، الصادرة من المخبإ إلى المَرْصَد ، ويعكسها لنا هنا .

ثم استعادته من بين أصابع (محمود) ، ووضعته على حافَة النافذة ، وهى تردف :

ـــ والتجربة خير دليل .

وبضَغطَةٍ على زرٍّ صغير فى جهازها ، انطلق القرص طائرًا ، وشقَّ طريقه نحو الهدف ..

نحو سماء المعركة ..

* * *

ارتفع من سطح المقاتل الآلىّ الصغير ـــ الذى يقرب حجمه من حجم كلب عادىّ ـــ وتبلغ خطورته ما يفُوق كتيبة كاملة

مسلحة ــ جسم مستطيل مسطَّح ، راح يدور حول نفسه فى هدوء ..

وأدرك (نور) أن المقاتل الآلىّ يحاول تحديد موقعه ، قبل أن ينقضّ عليه بكل شراسته وعنفه ، فانتزع مسدَّسه الليزرىّ من حزامه فى بطء وهدوء ، وهو يعلم أن سلاحه لن يُجْدِىَ شيئًا فى مواجهة أسلحة المقاتل الآلىّ ..

وفجأة .. أطلق المقاتل الآلىّ أشعة من اللّيزر ، تفاداها (نور) بقفزة جانبية ، ثم أطلق صرخة قتالية ، واندفع نحو المقاتل الآلىّ ..

ومن حسن الحظ أن (نور) كان قد درس جيِّدًا ، فى برنامج المخابرات العلمية ، إمكانات وقدرات هؤلاء المقاتلين الآليين ، الذين تمّ ابتكارهم ، وتصنيعهم ، فى بدايات القرن الحادى والعشرين ..

ومن حسن الحظ أكثر أنه كان يعلم نقاط ضعفهم ..

لقد حدَّد المقاتل الآلىّ نقطة هجوم (نور) ، وأدار مدفعيه اللّيزريَّين نحوه ، إلّا أن (نور) ألقى جسده أرضًا فجأة ، وأمسك مقبض مسدَّسه الليزرىّ بكلتا قبضتيه ، وأطلق أشعته نحو دائرة برتقالية ، أسفل جسم المقاتل الآلىّ ..

ولكن الأشعة أخطأت هدفها بنصف سنتيمتر ، فاستدار المقاتل الآلىّ نحو خصمه ، وخفض مدفعيه اللّيزريَّين ، وأطلق أشعتهما القاتلة ..

ولولا سرعة استجابة (نور) ، ومرونته ، اللتان ساعدتاه على القفز واقفًا على قدميه ، وتخطِّى جسم المقاتل الآلىّ بوثبة رائعة ، لقضى نحبه بأشعتى اللّيزر ، اللتين أصابتا رمال الصحراء ، فأذابتا مساحة كبيرة منها ..

وهنا التفت المقاتل الآلىّ إلى (نور) ، وقد قرَّر تغيير خطَّته ..

قرَّر أن يتوقَّف عن إطلاق أشعة اللّيزر ، وإطلاق القذائف المغناطيسية ..

وبغتة .. انطلقت عشرات الكُرَات البالغة الصِّغَر نحو (نور) ، الذى أسرع يضغط زرًّا صغيرًا فى حزامه ، فصنع من حوله مجالًا كهرومغناطيسيًّا ، جعل الكُرَات تتنافر وتبتعد عنه فى عنف ، وتنفجر فى الهواء ..

وأطلق المقاتل الآلىّ دفعة أخرى من القذائف المغناطيسية ، لتَشابهَ مصيرها مع مصير سابقتها ..

وفجأة .. أطلق المقاتل الآلىّ أشعة اللّيزر تحت قدمَىْ

(نور) فتعثَّر هذا الأخير ، وسقط على وجهه ، واتسعت عيناه فى توتُّر ، عندما رأى مدفعى اللِّيزر يصوِّبان إلى رأسه ..

وأدرك أنها النهاية ..

★ ★ ★

انطلق قرص (سلوى) الصغير يشقُّ الهواء ، حتى بدأت الأجهزة البالغة الدِّقة فى أعماقه ، تستقبل إشارات المخبإ ، فدار دورة كاملة ، حتى التقطت أجهزته خير إرسال ممكن ، فتوقَّف متعلِّقًا فى الهواء ، وراح يلتقط الإشارات فى دِقَّة بالغة ، ويرسلها فى إتقان كامل إلى حيث استقبلها (محمود) و (سلوى) داخل جهاز تسجيل فائق الجَوْدَة ، فغمغم (محمود) فى انفعال :

ـــ إنه يعمل بكفاءة .

زفرت (سلوى) ، وهى تغمغم :

ـــ حمدًا لله .

قال (محمود) ، وهو يتابع التسجيل فى اهتمام :

ـــ أتعلمين أن زوجك عبقرىّ يا (سلوى) ؟

غمغمت فى مرارة :

ـــ أتظن أن ذلك يسعدنى ؟

هتف فى دهشة :

ـــ بالتأكيد .

خفضت وجهها فى حزن ، وهى تقول فى ألم :

ـــ صدِّقنى يا (محمود) .. لقد تمنَّيت أكثر من مرَّة لو أننى قد تزوَّجت رجلًا عاديًّا .

هتف فى دهشة بالغة :

ـــ أهذا معقول ؟

أجابت فى مرارة :

ـــ لو أنك امرأة ، لأدركت كم هو معقول يا (محمود) .. إن المرأة ـــ أى امرأة ـــ تتمنَّى دَوْمًا حياةً زوجيَّة هادئة ، سعيدة ، مستقرَّة ، وأنا أفتقر إلى الهدوء والاستقرار مع (نور) .. إننى أُعانى خوفًا دائمًا من أن أجد نفسى فجأة أرملة .

غمغم فى دهشة :

ـــ يا إلهى !!.

صمت كلاهما لحظات ، ثم تنهَّدت (سلوى) ، وقالت :

ـــ دَعْنا من ذلك .. إن أمامنا مهمَّة بالغة الخطورة .

وشردت ببصرها ، مستطردة :

ـــ مثل (نور) ..

★ ★ ★

قبل أن تنطلق أشعة مدفعى اللّيزر ، اللذين يحملهما المقاتل الآلىّ الصغير ، انطلق فجأة خيط من اللّيزر ، من بين رمال الصحراء ، فأصاب ظهر المقاتل الآلىّ ..

كانت طلقة أطلقها (رمزى) من مخبئه ، طبقًا لخُطة (نور) المسبَّقة ..

وطبقًا لبرنامج المقاتل الآلىّ ، استدار بسرعة يواجه ذلك الخطر الجديد ..

وهنا قفز (نور) واقفًا على قدميه ، وأطلق صرخة قتالية عالية ، وهو يركل المقاتل الآلىّ فى قوّة ، فيرفع نصفه إلى أعلى ، ويجعل الدائرة البرتقالية كاملة الوضوح ..

وأطلق (نور) أشعة مسدّسه اللّيزرىّ نحو قلب الدائرة البرتقالية تمامًا ..

وتألق المقاتل الآلىّ كله بضوء أزرق ، ثم تراقصت حوله شرارات كهربية عنيفة ، وتجمَّد فى مكانه ..

لقد تعطلت أجهزته ، التى تقبع خلف الدائرة البرتقالية تمامًا ..

وتنفَّس (نور) الصُعَداء ..

لقد انتصر فى الجولة الأولى ..

ومن خلفه ، سمع أزيزًا خافتًا ، فالتفت إليه فى سرعة ، ورأى عدة كُرَات هلاميّة لامعة ، تندفع خارج المخبإ ، وعرف طبيعتها على الفور ..

إنها كُرَات سامَّة ، تكفى لمسة واحدة منها ، ليسقط جثة هامدة ..

إنها كُرَات الموت ..

كُرَات الجحيم ..

* * *



٨ ــ من فخٍّ إلى فخٍّ ..

فركت (نشوى) عينيها فى إرهاق عنيف ، وقاومت ذلك الدُّوار ، الذى يحيط بها ، وبذلت جهدًا خارقًا ؛ لتحتفظ بصفاء ذهنها ، وأصابعها تتقافز فوق أزرار الكمبيوتر ، وعيناها تتابعان كل رمز يرتسم على شاشته ، حتى مال نحوها مهندس الكمبيوتر الشاب (خالد) ، وهمس فى إشفاق :

ــ آنسة (نشوى) .. إنك تحتاجين بالضرورة إلى قسط من الراحة .. إنك تتهالكين تعبًا وإرهاقًا .

فتحت عينيها عن آخرهما ، وكأنما تحاول أن تثبت له أنه مخطئ ، وهى تقول :

ــ مستحيل !.. ألم تسمع قول أبى .. ثانية واحدة قد تُغنِى حياة الملايين من الأبرياء ، فما بالك بقسط من النوم ؟.

غمغم فى تعاطف :

ــ ولكن لن يمكنك الاستمرار هكذا أبدًا .. ستسقطين حتمًا ، بين لحظة وأخرى .

أرعبتها عبارته ، فهتفت فى هَلَع :

ــ مستحيل !! لابدَّ أن أواصل .. لايمكننى أن أتوقَّف الآن ..

ربَّت على كتفها فى حنان ، وهو يقول :

ــ حسنًا .. ما رأيك لو واصلت أنا عملك ، خلال فترة راحتك ؟

قالت فى عناد :

ــ كلَّا ..

وتسارعت أصابعها فوق الأزرار ، وكأنها محاولة أخرى لتأكيد قدرتها على الاستمرار ، ولكنها فى أعماقها كانت تتهالك ..

بل تنهار ..

* * *

لم تكن تلك الكُرَات الهلاميَّة القاتلة بغريبة على (نور) ، فهو ــ إن صحَّ القول ــ مكتشفها ، أو مبتكرها ، أو بمعنى أدقّ أنه قد نقل فكرتها إلى علماء مركز الأبحاث العلمية ، التابع لإدارة المخابرات ، بعد عودته من كوكب (جودان) ، حينما واجه مثلها هناك(*) .

(*) راجع قصة (أبواب الموت) .. المغامرة رقم (٦٥) .

وكان عليه فى هذه المرَّة أن يواجه العشرات منها ..

وكانت مباراة فى الحنكة ، وسرعة الاستجابة ..

وبدأ (نور) يتحرَّك فى سرعة ..

كان ينحنى متفاديًا واحدة من تلك الكُرات ، ويميل يسارًا ويمينًا ، متفاديًا ثانية وثالثة ، ثم يُطلق النار على رابعة وخامسة ، فينسفهما نسفًا ، وتتناثر منهما قطرات من سائل أرجوانى لزج ..

ولكن كان من المستحيل أن يواصل ذلك إلى الأبد ..

لقد ظلَّ (نور) يتحرَّك فى مناورات مستمرة ، لدقيقتين كاملتين ، وفى أثناء التفافة عنيفة ، فقد (نور) توازنه بغتة ، وسقط أرضًا ..

وعلى الفور .. توقَّفت كل الكُرات ، واستدارت ناحِيته ، وانقضَّت عليه دفعة واحدة ..

وفجَّر مسدَّسه الليزرىّ واحدة ، واثنتين ، وثلاثة ، ولكن الكُرات الأخرى واصلت اندفاعها نحوه ، وكان مجرَّد التصاق واحدة منها بجسده ، يَعْنِى شيئًا واحدًا ..

الموت الفَورىّ ..

* * *

تنهَّد (محمود) فى ارتياح ، وهو يضغط أزرار الكمبيوتر ، قائلًا :

ــ لقد تم تسجيل الإشارة ، على نحو جيِّد ، وسيقوم الكمبيوتر بتكرارها إلى ما لانهاية ، حتى نتجاوز تلك الأزمة .

وصمت لحظة ، ثم استطرد فى إعجاب :

ــ (نور) هذا عبقرىّ حقًّا .. لقد أيقن من أن مصدر الخوف الوحيد ، فى مهاجمة ذلك الشيطان المجنون ، الذى يسعى لحكم العالَم ، هو احتمال توقُّف الإشارات الصادرة من مخبئه إلى المَرْصَد ، وإصابة ذلك الأخير بجنون إشعال الحرائق ؛ لذا فقد كانت فكرته بسيطة ومبتكرة ، مجرَّد تسجيل الإشارة ، وتكرارها بواسطة الكمبيوتر ، فور القضاء على الشيطان ، بحيث لا تدرك أجهزة الاستقبال فى المَرْصَد أنه قد هلك .. يا لها من فكرة عبقرية !!

أدهشه أنه لم يسمع منه أى تعليق ، حتى بعد لحظات من انتهاء حديثه ، فالتفت إليها ، وارتفع حاجباه فى تعاطف ، عندما رآها تقف واجمة شاردة ، أمام النافذة ، تراقب شروق (الشمس الزرقاء) فى مرارة ، فاقترب منها ، وغمغم مشجِّعًا :

ــ سيعود .. سيعود بإذن الله .

انحدرت على وجنتها دمعة ساخنة ، وهى تقول :

ــ ربَّما .

صمت (محمود) لحظة ، ثم قال :

ــ أظن الموت نفسه قد باتَ يخشانا يا (سلوى) ، بعد أن تحدَّيناه عشرات المرَّات ، وانتصرنا عليه فى كل مرَّة .

ابتسمت فى مرارة ، وهى تقول :

ــ لاأحد ينتصر على الموت ، ولاأحد يرهبه يا (محمود) .. كل ما فى الأمر أن أجلنا لم يحن بعد ، ولكنه عندما يحين ، سيقف الموت فوق رءوسنا ساخرًا ضاحكًا ، ولن تمنعه قوَّة فى الأرض من الانتصار على أجسادنا البالية .

تنهَّد ، وغمغم فى خفوت :

ــ هذا لا يَعْنِى أن يفعل ذلك الآن .

عادت تقول فى حزن :

ــ ربَّما .

وشردت ببصرها مرَّة أخرى فى الأفق ، وهى تستطرد :

ــ لاأحد يدرى يا (محمود) .. لاأحد يدرى ..

* * *

كان الموت آتيًا هذه المرَّة لا ريب ..

لقد انقضّت عشرات الكُرات القاتلة نحو (نور) ، وهو ملقى على الأرض ، عاجز عن الفرار ..

ولكن فجأة .. توقَّفت الكُرات فى الهواء ..

وفجأة أيضًا .. ابتعدت عن (نور) ..

فى مخبئه ، هبَّ (وفيق) ، الذى يتابع كل مايحدث على راصده ، من فوق عرشه الزجاجىّ ، وحدَّق فى الشاشة بذهول ، على حين هتف معاونه (نديم) فى توتُّر بالغ :

ــ ماذا حدث ؟. كيف ابتعدت عنه الكُرات ؟

أجابه (وفيق) فى غضب :

ــ لست أدرى كيف ؟! لقد صُمِّمَتْ هذه الكُرات ، بحيث تهاجم أى جسم حىّ ، فى المحيط المقرَّر لها ، وهى فى هذا الشأن تنجذب إلى حرارة الجسم ، وما من مصدر حرارىّ آخر يمكنه اجتذابها .

أشار (نديم) إلى الشاشة ، وهو يقول :

ــ ولكن شيئًا ما يجذبها بالتأكيد ، فهاهى ذى تنطلق كلها إلى تلك النقطة هناك .

عقد (وفيق) حاجبيه ، وهو يغمغم فى توتُّر بالغ :

ــ ماذا يوجد هناك ياتُرى ؟.. ماذا ؟

كان من العسير عليه أن يعرف الجواب ؛ لأن ذلك الشىء ، الذى جذب كل الكُرَات القاتلة ، كان يقبع أسفل الرمال ، وعلى بُعد خمسة أمتار فقط ، من جسد (رمزى) ، الذى يبذل أقصى جهده ؛ لتغطية هجوم (نور) ..

لقد أثبت (نور) ، فى هذه المعركة ، أنه قائد ذكىّ موهوب ، يجيد معرفة قُدرات رجاله ، ووضع كل منهم فى موضعه المناسب ..

ويجيد أيضًا — وهو الأهم — تقدير إمكانات خصمه وقُدراته ..

إنه يعلم أن خصمه عالم متخصّص فى وسائل الدفاع ، وأنه مصرىّ ؛ لذا فقد توقَّع أن يزوِّد مخبأه بأحدث وسائل الدفاع ، فعكف على دراستها ، واستعدَّ لمواجهة كل منها ..

واستعان فى الوقت ذاته بـ (رمزى) ، الذى درس بدَوْره كل الأسلحة ، وكل وسائل مقاومتها ، واقتصرت مهمَّته على مراقبة (نور) من بعيد ، وتدبير السلاح المناسب ، لإفساد فاعلية كل سلاح يخرج به (وفيق) ..

وفى هذه المرَّة كان السلاح الوقائىّ عبارة عن أقراص خاصَّة ، ابتكرتها (سلوى) ، بعد دراستها لتركيب كُرَات الموت ..

أقراص تنبعث منها حرارة شبيهة بحرارة الجسم البشرىّ ، بالإضافة إلى ذبذبة خاصَّة ، تنجذب إليها تلك الكُرَات ، كما تنجذب الذبابة إلى العسل ..

وعلى رمال الصحـــراء ، انفجـــرت كُرات الموت ، وتلاشت ..

وانتصب (نور) ظافرًا ..

كان يعلم أنه ليست نهاية المعركة ، وأن خصمه سيخرج إليه بسلاح آخر بعد لحظات ..

وكان ينتظر ..

وفى حزامه ، كان هناك كمبيوتر خاصّ ، يعمل فى سرعة ، لتسجيل كل ذبذبة ، تنبعث من المخبإ ، ويرسلها أولًا فأوَّلًا إلى (سلوى) و (محمود) ..

كان الفريق كله يعمل هذه المرَّة ..

كل فى دَوْره ..

كل فى مكانه المناسب ..

وفجأة .. ظهر السلاح الجديد ..

وكان عبارة عن شبكة من معدن خاصّ ..

شبكة طائرة ، تبحث بنفسها عن فريستها ، وتصطادها ..

ثم تعتصرها اعتصارًا ..

حتى الموت ..

ولقد دخلت تلك الشبكة إلى المعركة ..

وكانت فريستها هى بطلنا .

(نور) ..

* * *



٩ ـ البَشَرِىّ ..

خدع جفنا (نشوى) صاحبتهما ، وانسدلا بغتة على عينيها ، بعد أن عجزا عن مواصلة الارتفاع طويلًا ، وكاد رأسها يسقط على صدرها ، لولا أن ارتفع صوت المهندس (خالد) ، وهو يقول فى قلق :

ـ آنسة (نشوى) .

كان ينطق تلك الكلمة بصوت هامس مشفق رقيق ، إلَّا أنها قد دوَّت فى أُذنيها كالرصاصة ، فاعتدل رأسها بغتة ، وعاد جفناها يفتحان عن آخرهما ، وتضرَّج وجهها بحُمرة خفيفة ، وهى تقول :

ـ ماذا هناك ؟

غمغم فى إشفاق :

ـ أمازِلْتِ تُكابِرين ؟.. إنك تحتاجين إلى النوم فى شِدَّة .

أجابته فى هدوء :

ـ هذا صحيح .

تنهَّد ارتياحًا لاعترافها ، وقال :

ـــ لا بأس .. سأكمل أنا البرنامج ، و .....

قاطعته فى عناد :

ـــ لقد اعترفت بأننى أحتاج إلى النوم حقًا ، ولكننى لم أقُل إننى سأستسلم له .

حدَّق فى وجهها بدهشة وجزع ، وهتف فى استنكار :

ـــ ولكنك كدت تسقطين منذ لحظات .

غمغمت فى صلابة :

ـــ أعِدك ألا أفعل ذلك مرَّة أخرى .

تطلَّع إليها لحظة فى دهشة ، وكأنما لم يفهم عبارتها ، ثم قال فى حِدَّة :

ـــ إنها ليست مسألة عناد أو مكابرة ، إنها .....

قاطعته فى صرامة :

ـــ إنها مسألة مصير .

ثم عادت تواصل عملها فى نشاط ، وكأنما استيقظت على التوِّ من نوم عميق ..

* * *

كان العدوّ مباغتًا ، سريع الانقضاض هذه المرَّة ..

لقد رأى (نور) الشبكة ، وأدرك طبيعتها ، وقرَّر أن يراوغها بكل ما يملك من قوَّة وخفَّة ومهارة ..

ولكنه لم يجد الوقت الكافى لذلك ..

لقد انقضَّت عليه الشبكة بغتة ، والتفَّت حول جسده ، وراحت تعتصره فى شدَّة ..

وأصبح أمله الوحيد هو (رمزى) ..

(رمزى) وحده ..

وفى مخبئه ، تألَّقت عينا (وفيق) ، عندما التقطت إحدى شاشاته صورة (رمزى) ، وهو يراجع معلوماته عن تلك الشبكة ، ويستعدّ لمجابهتها ، وقال الشيطان فى سخرية :

ـــ إذن فالأمر كذلك .. لقد استعان ذلك الرائد بزميل له .

انطلقت من حنجرته ضحكة ساخرة ، قبل أن يضيف :

ـــ لقد وعد أن يأتى وحده .. فليفعل إذن .

وبضغطة على زرٍّ أسود صغير ، انطلقت كُرة معدنية صغيرة ، من فجوة خاصة فى سطح المخبإ ، واندفعت تشقُّ الهواء نحو (رمزى) ، و .....

وارتطمت بجبهته فى قوَّة ..



انطلقت كُرة معدنية صغيرة ، من فجوة خاصة فى سطح المخبأ ، واندفعت تشقُّ الهواء نحو (رمزى) ، و .... وارتطمت بجبهته فى قوة ..

ودارت رأس (رمزى) ، واتسعت عيناه فى ألم وذهول ، وهو يغمغم :

ــ يا إلهى !!.. (نور) ..

ثم سقط فاقد الوعى ..

وعلى بعد أمتار منه ، كانت الشبكة القاتلة تعتصر جسد (نور) ، وتعتصره .. وتعتصره ..

* * *

بذلت (سلوى) مجهودًا حقيقيًا شاقًا ؛ لتنتزع نفسها من حالة اليأس والإحباط والاكتئاب ، التى أصابتها ، وتعود إلى عملها ، أمام شاشة جهازها الخاصّ ..

لقد أدركت أن عملها قد ينقذ زوجها من خطر ما .. أىّ خطر ..

وأمام جهازها ، راحت تستقبل ، وتعيد كل الإشارات ، التى يرسلها ذلك الكمبيوتر الصغير ، فى حزام (نور) ، وتدرسها وتحلّلها ، وقد استغرقها ذلك تمامًا ، حتى أنها لم تشعر بـ (محمود) ، الذى تطلّع إليها فى تعاطف ، ثم غمغم :

ــ هكذا فريقنا دَوْمًا ..

وتراقصت رنّة فخر فى صوته ، وهو يضيف فى اعتزاز :

ــ أقوى من الصِّعاب ..

* * *

شعر (نور) بآلام مبرّحة فى جسده ، وبعضلاته تنقبض فى عنف ، تحت ضغط تلك الشبكة المعدنية ، التى تعتصره اعتصارًا ، بلا رحمة ..

وباتَ من الواضح أن (رمزى) لم يعُد هناك ..

أو لم يعُد داخل المعركة على الأقل ..

ولكن عقل (نور) لم يتوقَّف ..

لم يشلّه الفزع ..

لقد راح يسترجع كل ما لديه من معلومات ، عن ذلك النوع من الشبكات ، فى هدوء عجيب ، كما لو كان صاحبه يجلس مسترخيًا على شاطئ البحر ، يجتر بعض الذكريات القديمة ، التى أصبحت بلا قيمة ..

وعثر عقل (نور) على الوسيلة ..

كان عليه أن يضغط ذلك الزِّرّ فى حزامه ، الذى يطلق حوله مجالًا كهرومغناطيسيًا ، ليشلَّ الموجات اللاسلكية ، التى تدفع الشبكة للانقباض ، فترتخى ، وتحرِّره ..

وفى صعوبة ، تحرَّكت يد (نور) نحو حزامه ..

كانت الشبكة تعتصره فى قوَّة ، حتى أنه كان يلهث ، من فرط ما يلتقط أنفاسه فى صعوبة بالغة ، وكان الفراغ أقلّ من أن يتحرَّك منه إصبع واحد من أصابعه ، إلا أن (نور) قد استعان بإرادته الفولاذية ، وراحَ يدفع يده نحو حزامه ، بكل ما يملك من قوة وعزيمة ..

وجحظت عيناه من فرط اعتصار الشبكة له ، و .....

وبلغ الزِّرّ بغتة ..

بلغه ، وضغطه فى لهفة وقوَّة ..

وتوقَّف اعتصار الشبكة له دفعة واحدة ..

ثم تراخت الشبكة من حوله ..

وتحرَّر (نور) ..

لقد ربح وحده تلك الجولة أيضًا ، ولكنه لم يربح المعركة بَعْدُ ..

ما زال الطريق أمامه طويلًا ..

ما زال يقاتل الشيطان ..

شيطان الجنون ..

* * *

« اللعنة !! » ..

هكذا هتف (نديم) ، وهو يتابع المشهد على الشاشة فى حَنَق ، قبل أن يلوّح بذراعيه فى قوّة ، مستطردًا فى سخط :

ـ من أى معدن قُدَّ هذا الرجل ؟

عقد (وفيق) حاجبيه فى غضب عنيف ، وهو يقول :

ـ من معدن ذكىّ .

وجلس على عرشه الزجاجىّ ، وهو يستطرد :

ـ إنك تشاهد الآن النتيجة الطبيعية ، لصراع الذكاء مع الآلة .. إن الآلة تطيع الأوامر طاعة عمياء ، وتنفّذها بلا مناقشة .. ولكنها لا تمتلك القدرة على تطويرها ، أو التجاوز عنها ، طبقًا لمقتضيات الظروف ، وهذا ما جعل ، وسيجعل البشر أكثر تفوُّقًا ، عَبْرَ العصور والأجيال .

هتف (نديم) :

ـ ولكننا نحيا فى عصر الآلة ... كل شىء يدار آليًا ، والآلة هى السيّد المطلق .

أشار (وفيق) إلى شاشته ، قائلًا :

ـ هذا الشاب يثبت العكس .

ثم نهض من فوق عرشه الزجاجى ، وعقد كفّيه خلف ظهره ، قائلًا :

ـ إنه يحتاج إلى سلاح أقوى .. سلاح خاص .

قال (نديم) فى حدة :

ـ لِمَ لا نُطلق عليه مدافع اللّيزر ، فترديه قتيلًا على الفور ؟

التفت إليه (وفيق) فى غضب ، وهو يقول :

ـ لأن هذا يُفقدنى لذّة الصراع ؛ ولأن هذا يجعله يبدو فى عيون الجميع فى صورة الشهيد البطل ؛ ولأننى أعتبر قتالى معه تحدّيًا لذكائى ، وليس لقوتى .. أتكفيك كل هذه الأسباب ؟

انكمش (نديم) فى مقعده ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد ياسيّدى .. إنها تكفينى .. تكفينى تمامًا .

عاد (وفيق) يصمت مفكّرًا ، ثم غمغم :

ـ كما قلت منذ لحظات .. هذا الشاب يحتاج إلى سلاح خاصّ .. سلاح يجمع ما بين دِقّة الآلة ، وعقل البشر .

غمغم (نديم) فى حَيْرة :

ـ أى سلاح هذا ؟

ارتسمت على شفتى (وفيق) ابتسامة شيطانية ، وهو

يلتفت إليه ، وتألقت عيناه من عمق [illegible] ، وهو يجيب في هدوء :

ــ أنت .

* * *

جلس (نور) فوق تبة رملية ، على مقربة من مخبأ (وفيق) ، يلهث في جهد وانفعال ، بعد أن تحرّر من تلك الشبكة القاتلة ..

وفي أعماقه كانت هناك عدة مخاوف ..

كان يتساءل عمّا أصاب (رمزى) ، دون أن يجرؤ على الذهاب إلى مكانه ، أو حتى الالتفات إليه ، خشية أن يعلم (وفيق) بوجوده ، دون أن يدرى أن ذلك الأخير قد علم بالفعل ، وأنه قد أزاح (رمزى) بعيدًا عن ساحة المعركة ..

وكان يتساءل عما توصّل إليه رفاقه حتى الآن ..

عن (نشوى) ، وبرنامج الكمبيوتر ..

وعن (محمود) و (سلوى) ، ومهمّتهما المعقّدة ..

وكان يتساءل أيضًا ، وهذا في الواقع أكثر ما كان يُقلقه ، عن السلاح القادم ، الذى سيواجهه به (وفيق) ..

وتوتّرت عضلات جسده كلها ، عندما رأى منطقة الرمال ترتفع ..

وتعلّق بصره بتلك الأسطوانة اللامعة ، في مدخل المخبأ ، وانعقد حاجباه في توتّر ، وهو يتطلّع إلى ذلك الجسم ، الذى بدا في منتصفها ..

في البداية تصوّر أنه رجل آلىّ ..

ثم اتضحت له الصورة ..

لقد كان يواجه بشريًّا ..

بشريًّا في زىّ معدنىّ ، أشبه بدروع فرسان (أوروبا) ، في العصور الوسطى ..

بشريًّا يجمع ما بين عقول البشر ، ودقّة الآلة ، باختصار كان يواجه صنيعة شيطان ..

* * *



١٠ ـ نصف آلِيّ ..

لم يحاول المهندس (خالد) أن يعترض هذه المرَّة ، ولا أن يدعو (نشوى) إلى بعض الرَّاحة ، على الرغم من كل ذلك التعاطف والإشفاق ، فى أعماق قلبه نحوها ، وهى التى باتت أشدّ شحوبًا من الموتى ، وبدت وكأنما ازدادت نحولًا فى ليلة وضحاها ..

كل ما فعله هو أن ربَّت على كتفيها مشجِّعًا ، بعد أن يئس من إقناعها بالحصول على قسط من الراحة ، فالتفتت إليه فى شحوب مخيف ، ومنحته ابتسامة ذابلة كعينيها ، ولم يجد لديه ما يجيب ابتسامتها الذابلة ، سوى أن يغمغم :

ـ كيف حالك ؟

لم يكن للسؤال معنى ، وهو لم يفارقها لحظة واحدة ، منذ بدأت عملها ، إلَّا أنها بدت وكأنها كانت تنتظر هذا السؤال بالذات ، فقد أسبلت جفنيها ، وغمغمت فى شحوب :

ـ يبدو أننى سأتبع نصيحتك أخيرًا يا (خالد) .. على الرغم منّى .

هتف فى لهفة :

ـ هل ستحصلين على قَدْر من الراحة ؟

فتحت عينيها فى صعوبة ، ونقرت بأصابعها معادلة أخيرة ، على أزرار الكمبيوتر ، وهى تغمغم فى إعياء :

ـ يبدو أنه لم يعُد لى الخيار .

تنهَّد فى ارتياح ، وهو يغمغم :

ـ أظنه أفضل قراراتك هذا المساء يا آنسة (نشوى) .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى فوجئ بها تعتدل بغتة ، كأنما قد دبَّ النَّشاط فى عروقها دفعة واحدة ، ورآها تتطلَّع إلى شاشة الكمبيوتر فى اهتمام بالغ ، فسألها فى توتُّر :

ـ ماذا هناك ؟

أشارت إلى الشاشة ، وهى تقول فى حماس :

ـ يبدو أننا سنتوصَّل إلى شىء ما .

زفر فى قوَّة ، وهو يقول :

ـ إنك تردِّدين العبارة نفسها ، طِيلة الليل يا آنسة (نشوى) .

هتفت فى (حماس) :

ـ الأمر هذه المرَّة يختلف .. انظر إلى تلك الأرقام ..

كانت قد ردَّدت تلك العبارة أيضًا طيلة الليل ، مما جعله يعاود الجلوس فى مقعده ، قائلًا فى يأس :

ــ بالتأكيد .. هذا واضح .

وعاودت هى عملها فى حماس ، وعاد هو يراقبها فى يأس وإشفاق ..

* * *

توقَّف (نور) فى مكانه متحفِّزًا ، على حين تحرَّك ذلك البشرىّ ، نصف الآلىّ ، مفارقًا الأسطوانة المعدنية اللامعة ، فى مدخل المخبإ ، ومتقدِّمًا إلى الأمام ، على حين عادت قطعة الرمال ، التى تخفى المدخل ، تهبط مرَّة أخرى ، لتندمج بغيرها من الرمال .. وابتسم (نديم) ، الذى يرتدى ذلك الدِّرع الآلىّ ، وقال فى صوت ساخر متشفٍّ :

ــ هل أعجبك ذلك الزِّىّ أيها الوالد ؟.. إنه إضافة جديدة لحروب المستقبل .. زِىٌّ آلىّ كامل ، يمنح مرتديه قوَّة خارقة ، وعددًا لا حصر له من الأسلحة .. إنه أحدث وأعظم ابتكارات سيِّدى ، إمبراطور العالم المقبل .

أجابه (نور) فى صرامة :

ــ بل قُل إمبراطور البلهاء والواهمين ، فسيِّدك لن يحكم سوى زنزانة إليكترونية ، فى سجن القمر (*) .

أطلق (نديم) ضحكة ساخرة عالية ، وقال :

ــ ألم يكن من الأفضل أن تؤجل تبجُّحك هذا ، إلى ما بعد انتصارك ؟

وضحك مرَّة أخرى ، قبل أن يضيف متهكِّمًا :

ــ هذا لو أنك قد انتصرت .

رفع (نور) مسدَّسه اللِّيزرىّ فى وجه (نديم) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ أتحب أن أحوزه الآن ؟

انطلقت من ذراع الزِّىّ الآلىّ ، دفقة مفاجئة من أشعة اللِّيزر ، أصابت مسدَّس (نور) ، وأذابته ، على حين قال (نديم) فى سخرية :

ــ ما هذا الذى تقصده ؟

قفز (نور) فجأة ، وركل (نديم) فى وجهه ، هاتفًا :

ــ النصر .

سقط (نديم) إثر الركلة القوية ، ثم قفز واقفًا على قدميه ، وهاتفًا فى غضب :

(*) راجع قصة (سجن القمر) .. المغامرة رقم (٤٨) .



انطلقت من ذراع الزىّ الآلىّ ، دفقة مفاجئة من أشعة اللّيزر ، أصابت مسدَّس (نور) ، وأذابته ..

ــ أنت تريد قتالًا يدويًا .. فليكن إذن .

وانقضَّ على (نور) ، الذى تفاداه فى مهارة بالغة ، وراوغ ذراعيه فى رشاقة ، ثم انتصب بغتة ، وكال له لكمة عنيفة فى فكّه ، انثنى لها جسد (نديم) إلى الخلف ، ثم اعتدل فى سرعة ، بفضل مرونة زِيّه الآلىّ الرهيب ، وأحاط وسط (نور) بذراعيه فجأة ..

وردَّدت الصحراء صدى ضحكة (نديم) الشرسة ، وهو يعتصر جسد (نور) بذراعين فولاذيتين ، صارخًا :

ــ لقد وقعت أيها الرئد .. لقد انتهيت .

أغلق (نور) عينيه فى ألم ، وهو يشعر بضغط هائل على ضلوعه ، وراحَ يركل خصمه ، ويضربه بلا جَدْوَى ، حتى كاد يفقد وعيه ، ويتمزَّق إربًا ..

وفجأة .. تخلَّى (نديم) عن اعتصاره بذراعى الزِّى الآليتين ، وحمله بغتة إلى أعلى ، ثم ألقاه ما يقرب من خمسة أمتار فى عنف ..

وسقط (نور) ، وارتطم ظهره بالأرض فى قوة ، وشعر بآلام الصدمة فى كل جزء من جسده ، إلَّا أنه عاد يقفز واقفًا على قدميه ، ويواجه خصمه ، الذى باغته بهجوم آخر

كسابقه ، اعتصر فيه جسده ، حتى كاد يردِيه قتيلًا ، ثم ألقاه مرَّة أخرى أرضًا ..

لقد كان (نديم) يمارس معه لُعبة القط والفأر ..

كان يتسلَّى بالفريسة أوَّلًا ، قبل أن يلتهمها ..

ولقد قرَّر (نور) أن يستفيد من تلك النزعة السادِيَّة ..

وبينما كانت عيناه تدوران فى المكان ، راحَ (نور) يضغط أزرار الكمبيوتر فى حزامه فى سرعة ، ويحتمل اعتصار (نديم) لجسده ، وإلقاءه له فوق الرمال ، فى صلابة وبأس ..

وأخيرًا .. سقط (نور) ، وقد عجز جسده عن مواصلة القتال ..

كان الإرهاق قد بلغ منه مبلغه ، ولم يعُد جسده يحتمل السقوط والآلام ..

واستلقى (نور) يلهث ، على رمال الصحراء ..

وبصوت ملؤه السخرية والشماتة ، قال (نديم) :

ـــ انهض أيها الرائد .. المعركة لم تنته بعدُ .. انهض لتواجه خصمك للمرَّة الأخيرة .

تجاهل (نور) (نديم) تمامًا ، وظلَّ مستلقيًا على ظهره ، مسبلًا جفنيه ، منتهزًا الفرصة ؛ ليحصل على قَدْرٍ من الراحة ، ويستعيد قليلًا من قوته ، إلَّا أن (نديم) استطرد فى سادِيَّة :

ـــ سأمنحك فرصة أخيرة .. كل ما أطلبه منك هو أن تلكمنى .. ولو نجحت ، سأمنحك حريتك ، أما لو فشلت ، فستكون قد وقَّعت وثيقة موتك .. سأقتلك بلا رحمة ، وتذكَّر أننى لم أستخدم ضدك أسلحة هذا الزِّىّ بعدُ .

لكمة واحدة ؟! ..

كان عرضًا عجيبًا ، بالنسبة لـ(نور) ، أثار دهشته وفضوله ..

صحيح أنه لم يثق فى وعد (نديم) له ، بمنحه حريته ، لو أنه نجح فى أن يوجِّه له لكمة واحدة ، إلَّا أنه بات شديد الفضول لمعرفة سرّ ذلك التحدِّى الغامض الغريب ، ففتح عينيه فى بطء ..

وهنا اتسعت عيناه ـــ على الرغم منه ـــ عن آخرهما ، وحدَّق فيما أمامه بذهول ..

وكان المشهد يستحق حقًّا هذا الذهول ..

لم يكن أمامه (نديم) واحد ..

كان أمامه سبعة ..

سبعة رجال مُتطابقين كصُوَر فى المرآة ..

وكلهم (نديم) ..

كلهم يرتدون ذلك الزىّ الآلىّ ..

وبلهجة تحمل أشدّ نبرات السخرية والشماتة ، وبثقة لاحدود لها ، قال الرجال السبعة فى آن واحد ، وبتطابق مذهل :

ـ هيّا أيُّها الرائد .. لكمة واحدة ، وبعدها تنال حريتك ، أو تموت على الفوْر .. المهم هو أن توجّه اللكمة إلى الرجل الصحيح ..

وردّدت الصحراء صدى ضحكات شيطانية ..

سبع ضحكات متطابقة إلى حدّ مُذْهِل ..

* * *

عقدت (سلوى) حاجبيها فى توتُّر ، وهى تضغط أُزرار جهازها فى عصبيّة ، وتقول لـ(محمود) :

ـ هل أُدركت مغزى رسالة (نور) يا (محمود) ؟.. إنه يطالبنا بوضع خُطَّة جديدة موضع التنفيذ ، فى دقائق معدودة .. هل رأيت ماهو أعقد من ذلك ؟!

أجابها ، وهو يعمل على جهازه فى سرعة :

ـ لا شىء يدهشنى مع (نور) .

ابتسمت ، وهى تقول :

ـ صدقت .. المهم أن رسالته تعْنِى أنه مايزال حيًّا ، يقـاتل .

سـألها فى توتُّر :

ـ لقد حدَّد عشر دقائق فحسب .. هل سننجح فى إعداد كل شىء ، فى ذلك الوقت القصير .

قالت فى حماس :

ـ بإذن الله .

ثم أُردفت فى حزم :

ـ إننا لن نخذله أبدًا .. إن (نور) يراهن بحياته على كفاءتنا ، وعلى قدرتنا على العمل بالسرعة الكافية .

صمتت لحظة ، وهى تعمل فى سرعة ، ثم أضافت بمزيد من الحزم :

ـ وأنا واثقة من أن حياته تتوقَّف على نجاحنا .

شحب وجهه ، وشعر وكأن كلماتها قد أُلقت على كاهله جبلًا من المسئولية ، وغمغم فى حزم :

ـ لذا فلن نخذله .. لن نخذله بإذن الله .

* * *

نهض (نور) فى بطء ، وهو ينقِّل بصره بين الرجال السبعة فى حَيْرة ..

كان يعلم أن ستة منهم عبارة عن صُوَر (هولوجرافية) بالغة الدِّقَّة ، مُعَدَّة لإرباك الخصم ، وتشتيت انتباهه ، على حين أن السابعة هى الشخص الحقيقى ، الذى ينسج الزِّىّ عنه تلك الصُّوَر الست ، بكل هذه الدِّقة ..

وكانت لديه فرصة واحدة ..

فإما أن يلكم الشخص الحقيقى ، فيفوز ، أو يلكم صُورَة وهميَّة ، فيلقى مصرعه على الفور ..

وكان عليه أن يقرِّر فى سرعة ..

وفى هدوء ، لا يتناسب أبدًا مع دقة الموقف ، تطلَّع (نور) إلى ساعته الذرِّيَّة ، فقال الرجال السبعة فى آن واحد :

ـ لكمة واحدة أيها الرائد ، فإما أن تربح ، أو تموت ..

اعتدل (نور) ، وبدا هادئًا للغاية ، وهو يقول :

ـ نعم أيها الوغد .. لكمة واحدة .

أطلق الرجال السبعة ضحكة واحدة رنَّانة ساخرة ، قبل أن يقولوا معًا :

وكانت انقضاضته تعنى النصر أو الموت

* * *



١١ ـــ نهاية العالَم ..

جلس (وفيق) على عرشه الزجاجى ، يراقب فى استمتاع تلك المعركة العنيفة ، التى دارت بين مساعده (نديم) ، و (نور) ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة رضا واسعة ، عندما سيطر (نديم) على الموقف ، وراح يحمل (نور) ويلقيه ، دون أن يملك (نور) دفاعًا ضده ..

وهو الذى أصدر إلى (نديم) أوامره بتجربة أسلوب النسخ الهولوجرافى لإرباك العَدُوّ ..

وفى اهتمام بالغ ، جلس يراقب (نور) ، وهو يستعد لتوجيه لكمته ..

كان احتمال نجاح (نور) ، فى توجيه اللَّكْمَة إلى الرجل الصحيح ، هو بنسبة واحد إلى سبعة ، وهى نسبة ضئيلة للغاية ، بالنسبة لرجل لا يملك سوى فرصة واحدة ..

وانتبهت حواسّ (وفيق) كلها ، عندما انقضَّ (نور) ..

وفجأة .. ارتبكت كل شاشات الرَّصْد ..

كانت مفاجأة عنيفة ، جعلت (وفيق) يقفز من فوق عرشه ، صارخًا فى غضب هائل :

ـــ اللَّعنة !!

واندفع نحو أجهزته ، وراح يديرها فى عصبيَّة ، بحثًا عن الخلل ، ثم لم يلبث أن هتف فى غضب ، عندما لم يجد هناك خلل ما :

يا للأوغاد !! .. لقد أفسدوا شاشاتى بوسيلة ما .. سأحطِّمهم جميعًا .. سأحيل نصف الأرض إلى جحيم ، بأشعة (الشمس الزرقاء) المركَّزة .. سأُشعل نصف العالم ، و .....

وقبل أن يتمَّ عبارته ، عادت الشاشات كلها للعمل بغتة ..

وعلى إحدى الشاشات ، كان هناك مشهد واضح ، لرجل يرتدى زيًّا آليًّا ، وتحت قدميه يرقد جسد بشرى هامد ..

وبكل ما يجتاح جسده من انفعال ، هتف (وفيق) ، عَبْرَ أجهزة الاتصال بينه وبين (نديم) :

ـــ هل .. هل صرعته ؟

أومأ (نديم) برأسه إيجابًا ، وأشار إلى الجثة الملقاة أمامه ، مغمغمًا :

ـــ على الفور .

أطلق (وفيق) ضحكة شيطانية جنونية ، وهو يقول :

ـ لا أحد ينتصر على إمبراطور العالم ، وسلطان (الشمس الزرقاء) .. لا أحد .

وانحنى نحو أجهزة الاتصال ، مردفًا فى شراسة :

ـ غدًا يا (نديم) .. غدًا تشاركنى لحظة الظَّفر .. سأذيع بيانًا جديدًا على العالم .. سأختصر المهلة إلى ساعة واحدة .

استدار الرجل نصف الآلىّ فى هدوء ، وضغط أزرار صدر زِيّه فى تعاقب مدروس ، فارتفعت قطعة الرمال ، وتقدَّم الرجل ، ليعتلِىَ الأسطوانة المعدنية اللامعة ، التى هبطت به إلى أسفل ..

وفى المخبإ ، هتف (وفيق) فى انفعال ، وهو يُعِدّ أجهزة البثّ الهولوجرافى :

ـ لم أعُدْ أحتمل يا (نديم) .. لم أعُدْ أطيق صبرًا .. سأصبح إمبراطور العالم بعد ساعة واحدة ، أو يسقط الجحيم على رءوس الجميع

ارتجف جسده ، وتسمَّر بغتة ، عندما جاء من خلفه صوت صارم ، يقول :

ـ أو على رأسك وحدك أيها الوغد .

التفت (وفيق) فى هلع إلى مصدر الصوت ، وتراجع فى حِدَّة ، عندما وقع بصره على صاحبه ..

فهناك ..

أمامه مباشرة .. كان يقف رجل ، فى زِىٍّ آلىٍّ ..

ولكن هذا الرجل لم يكن (نديم) ..

لقد كان (نور) ..

* * *

الذُّهول ..

هذا هو المصطلح الصحيح ، الذى يمكن أن نُطلقه بكل ثقة ، على الانفعال الذى أصاب (وفيق) ، عندما فوجئ بـ (نور) أمامه ..

لقد ظلَّ يتطلَّع إليه لحظات ، دون أن ينبس ببنتِ شَفَة ، أو تبدر منه أدنى حركة ، كما لو كان قد استحال فجأة إلى تمثال من الحجر ..

وأخيرًا .. نطق الحجر ..

نطق بصوت مرتجف ، وحروف مختنقة ، وبكلمة واحدة ، عجزت حنجرته عن إلحاقها بأخرى :

ـ كيف ؟

ابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يقول :

ـ إنها خُطَّة شديدة التعقيد أيها الشيطان ، لست أدرى ما إذا كنت ستستوعبها أم لا .. لقد كان من الواضح أن مدخل مخبئك يُفتح ويُغلق بشفرة خاصة معقَّدة ، وأنك تتابع كل مايحدث حولك ، من خلال مجموعة من آلات التصوير التليفزيونية ؛ لذا فقد جعلت كمبيوترًا صغيرًا فى حزامى ، ينقل إلى رفاق كل ذبذبة تحدث فى المكان .. ولقد فتحت أنت مدخل الكهف ثلاث مرَّات على الأقل ، واستخدمت كل آلات التصوير .. ولقد عكف زميلان على تنفيذ كل الذبذبات ، واستخلاص بعضها من بعض ، بعمليات شديدة التعقيد ، حتى نجحوا فى فصل شفرة المدخل ، وذبذبات آلات التصوير ، وعندما وقف معاونك الحقير يتحدَّانى ، كنت أنتظر لحظة مُتفقًا عليها مع رفاق ، لتنفيذ الخُطَّة ، وفى اللحظة الحاسمة ، قام رفيقاى بالشوشرة على آلات التصوير ، حتى تمكَّنت أنا من هزيمة معاونك ، وارتداء ثوبه الآلىّ .. ولقد خدعك إبدال الزِّىّ هذا تمامًا ، وخاصة عندما رأيتنى داخلًا ، أفتح المدخل بتلك الشفرة السِّرِّيَّة ، التى نقلها رفيقاى إلى الكمبيوتر الصغير فى حزامى ، فى اللحظة المناسبة .

غمغم (وفيق) فى صوت متحشرج :

ـ لست أقصد هذا .. كنت أقصد كيف تغلَّبت على (نديم) ؟.. كيف عرفت الشخص الحقيقىّ ، وسط الأشكال السبعة .

ابتسم (نور) ، وهو يقول :

ـ الأمر أبسط مما تتصوَّر أيها الوغد .. لقد اعتمدت على نظرية التماثل .

ردَّد (وفيق) فى حَيْرة :

ـ التماثل ؟!

أجابه (نور) :

ـ نعم أيها الوغد .. لقد قدَّرت أن الزِّىّ سيصنع عددًا متساويًا من الصُّور على جانبيه ، حتى يستخدم برنامجًا تماثليًّا بسيطًا ؛ لذا فقد كان من الطبيعى أن يكون الشخص الحقيقى هو الرابع من أى اتجاه .. أو الذى يتخذ موقعًا متوسِّطًا بالضبط .

تمتم (وفيق) :

ـ ياللشيطان !!

ابتسم (نور) ، وهو يتابع فى هدوء :



وفى هدوء .. انطلقت من ذراعى الزِّىّ الآلىّ عشرات الخيوط، من أشعة اللِّيزر ، وراحت أجهزة المخبإ تنفجر ..

— لم يحتج الأمر بعد ذلك ، لأكثر من ركلة مُحْكَمَة إلى أنف معاونك الوغد ، ولكمة تحطِّم أسنانه ، ثم ارتداء زِيِّه الآلىّ .

وقف (وفيق) لحظة يحدِّق فى وجه (نور) ، غير مصدِّق ، ثم لم يلبث حاجباه أن انعقدا فى شِدَّة ، وهو يقول فى حِدَّة :

— ولكنك لم تنتصر بَعْدُ .

ابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يقول :

— أتظن ذلك ؟

تراجع (وفيق) فى حِدَّة ، وهو يقول :

— نعم .. لم تنتصر .. إننى سأضغط أزرار التحكُّم فى المَرْصَد ، وسأشعل الحرائق فى طول الأرض وعرضها ، ولن يمكنك إيقافى ، وإلَّا أصيب المَرْصَد بالجنون ، وحوَّل الأرض كلها إلى كتلة من الجحيم ، طبقًا للبرنامج ، الذى أضفته له .

قال (نور) فى صرامة :

— فليذهب برنامجك إلى الجحيم ..

وفى هدوء .. انطلقت من ذراعى الزِّىّ الآلىّ عشرات الخيوط ، من أشعة اللِّيزر ، وراحت أجهزة المخبإ تنفجر

وتتحطَّم واحدًا بعد الآخر ، فصرخ (وفيق) فى جنون :

ـ سأشعل الأرض كلها .. ستتحمَّل الوِزْر كله .

أجابه (نور) فى حزم ، وهو يواصل تحطيم أجهزة المكان :

ـ لا تجعل ذلك يُقلقك أيها الوغد .. لقد وضعنا قرصًا صغيرًا فوق وكرك الجهنمى هذا ، وهو يلتقط كل إشارة تخرج من هنا ، وفور توقف الإشارات الصادرة من المخبإ ، سيقوم كمبيوتر خاصّ بإرسال إشارات مشابهة ، عَبْرَ القرص ذاته ، إلى المَرْصَد ، الذى لن يشعر لحظة واحدة بما حدث .

تألَّقت عينا (وفيق) ببريق جنونىّ ، وهو يقول :

ـ أتظن أن هذا يؤمِّن لكم النصر ؟

أجابه (نور) فى هدوء ، وهو يدمِّر آخر أجهزة المكان :

ـ بالتأكيد .

أطلق (وفيق) ضحكة شيطانية جنونية ، ولوَّح بذراعيه ، هاتفًا :

ـ أخطأت أيها الرائد .. أخطأتم جميعًا .. إن (وفيق) سينتصر حتمًا فى النهاية ، وسيصبح إمبراطور الأرض ، أو لا تبقى هناك أرض على الإطلاق .

وفى حركة سريعة ، التقط من جيبه قرصًا أزرق اللَّوْن ، ألقاه فى حلقة ، قبل أن يُطْلق ضحكة شيطانية أخرى ، مستطردًا :

ـ أتعلم ما هذا القرص أيها الرائد ؟.. إنه نوع من السُّمّ الزّعاف .

قال (نور) فى برود :

ـ لا تنتظر منِّى أن أبكيك حزنًا .

عاد (وفيق) يُطلق تلك الضحكة الشيطانية ، قائلًا :

ـ ومن طلب منك أن تفعل ؟.. إنك حتى لن تجد الوقت الكافى لذلك .

بدأت ملامحه تنقلب ، مما يشير إلى سريان السُّمّ فى جسده ، وهو يستطرد :

ـ أتعلم ما تلك الإشارة ، التى يستقبلها منِّى المَرْصَد ؟.. إنها دقَّات قلبى .. لقد كان هذا جزءًا من احتياطاتى ، فأضفت جهازًا خاصًّا إلى صدرى ، ينقل إلى المَرْصد دقَّات قلبى فى انتظام ، وأضفت إلى المَرْصَد نفسه وحدة فائقة الحساسية ، تجعله يجيد التميز ، بدرجة تفوق الوصف من الدِّقة ، ما بين دقَّات القلب الحقيقية ، وتلك

المسجَّلة ، وبين دقَّات قلبى أنا ، ودقَّات قلب أى مخلوق آخر ..

اتسعت عينا (نور) فى ذُعْر ، وهو يهتف :

ـ أيها الحقير !

ثم اندفع نحو (وفيق) ، الذى بدأ يتلوَّى من الألم ، وهو يُطلق نفس ضحكاته الشيطانية الساخرة ، ويردِّد :

ـ ألم أقُلْ لك يا فتى ؟.. إن (وفيق) سينتصر حتى النهاية .. لن تبقى الأرض من بعده أبدًا .

صاحَ (نور) فى مرارة ، وهو يحاول عبثًا إسعاف الرجل :

ـ يا لك من حقير !! ألم تفكِّر لحظة فى احتمال توقُّف قلبك بصورة طبيعية .

ابتسم (وفيق) ابتسامة شيطانية ، اختلطت بعلامات الألم على وجهه ، وهو يقول :

ـ وما حاجتى إلى الأرض حينذاك ؟

هتف (نور) فى ذُعْر :

ـ لا تستسلم للموت أيها الوغد .. لقد أصبحت حياتك بغتة ذات قيمة .. لا ينبغى أن يتوقَّف قلبك أبدًا ..
لا ينبغى أن ......

قاطعه (وفيق) بضحكة شيطانية مخيفة ، قبل أن يهتف فى ألم :

ـ فلتذهب الأرض إلى الجحيم

وارتجف جسده ارتجافة أخيرة ، ثم سكن تمامًا ، وخفق قلبه فى عنف ، ثم توقَّف عن الخفقان إلى الأبد .

وصرخ (نور) :

ـ يا إلهى !! .. الأرض !!

وشعر أن كل شىء من حوله يحترق ..

إنها النهاية ..

نهاية العالَم ..

* * *



١٢ ــ الختام ..

انتفض (نور) ، وهبَّ مستيقظًا من نومه ، وهو يهتف فى ذُعر :

ــ كلَّا .. ليس الأرض .. ليس الـ ......

بتر عبارته بغتة ، عندما رأى نفسه راقدًا على أريكة وثيرة ، فى حديقة منزله ، وإلى جواره مائدة صغيرة ، استقرَّ فوقها كوب من عصير الليمون ، فاعتدل بسرعة ، ورفع عينيه إلى الشمس ، وتنهَّد فى ارتياح عندما رآها بلونها الطبيعى المألوف ، وجزء من أشعتها الصفراء الدافئة يسقط على وجهه ، فتنهَّد فى ارتياح ، وأُسبل جفنيه ، مغمغمًا :

ــ حمدًا لله .

اقتربت منه (سلوى) ، وهى تبتسم ، وسألته :

ــ ماذا هناك ؟ .. أهو كابوس ؟

فتح عينيه ، وتطلَّع إلى وجهها فى ارتياح ، وابتسم وهو يقول :

ــ نعم .

ثم عاد يتطلَّع إلى الشمس فى ارتياح ، مغمغمًا :

ــ كابوس رأيت فيه شمسًا زرقاء .

هتفت (سلوى) فى دهشة :

ــ شمس زرقاء ؟!

ثم ابتسمت فى حنان ، مستطردة :

ــ أمازلت تذكر ذلك ؟ .. لقد انتهى ذلك الكابوس منذ شهر كامل ، ونجح علماؤنا فى استعادة السيطرة على (مَرْصَد المستقبل) .

عاد يُسبِل جفنيه ، وهى تستطرد فى اعتزاز :

ــ والفضل فى ذلك يعود إليك يا (نور) .. فلولا مخاطرتك بحياتك ما أمكننا أن نُحبط خُطَّة ذلك الشيطان (وفيق) ، وننقذ الأرض من شروره .

ابتسم ، وهو يقول :

ــ لقد كان الفريق كله رائعًا .

وصمت لحظة ، ثم أضاف :

ــ وبالذات (نشوى) .

سمع الاثنان صوتًا مَرِحًا ، يهتف :

ـ من يتحدَّث عن (نشوى) ؟

ابتسم (نور) و (سلوى) ، وهما يتطلَّعان فى سعادة إلى ابنتهما ، التى اندفعت نحوهما فى مَرَح ، وقبَّلتهما فى حُبّ ، ثم اتخذت مقعدًا إلى جوار والدها ، واختطفت كوب عصير الليمون الموضوع أمامه ، وهى تقول ضاحكة :

ـ أظنك لا تحتاج إلى ذلك الآن .

ضحك وهو يتطلَّع إليها فى حنان ، قبل أن تسأله فى مرح :

ـ لماذا كنتما تتحدَّثان عنِّى ؟

ابتسم قائلًا :

ـ كنا نتذكَّر فوزك الساحق ، فى عملية (الشمس الزرقاء) .

هزَّت كتفيها ، وهى تقول :

ـ إنه لم يكن فوزًا بالمعنى المعروف .

ابتسم (نور) فى حنان ، وهو يقول :

ـ بل هو فوزٌ كامل .. فلقد نجحت فى تحطيم دائرة الحصار ، التى أحاط بها ذلك الوغد برنامج الكمبيوتر ، وحرَّرت المرصد من سيطرته فى اللحظة الأخيرة ، ولو أنك تأخَّرت ثانية واحدة ، لأُصيب المَرْصَد بالجنون ، ولتحوَّلت

كُرَتنا الأرضية كلها إلى نيزك هائل مشتعل .

جرعت عصير اللَّيمون ، وقالت فى هدوء :

ـ هذا يَعْنِى أَنك صاحب الانتصار الحقيقىّ يا أبى .

هتف فى دهشة :

ـ أنا ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت :

ـ نعم .. صحيح أننا لم نناقش هذا الأمر أبدًا ، ولكننى أعتبرك حقًّا صاحب ذلك الانتصار .

اعتدل ، وهو يسألها فى اهتمام :

ـ كيف ؟

أجابته فى فخر :

ـ هل تذكر عبارتك ، قبل أن تفارقنا إلى المعركة يا أبى ؟.. أتذكر كلماتك لى ، عندما جئت لأودعك [illegible] قلت لى حينها : إن ثانية واحدة ، قد [illegible] وهذه العبارة لم تفارق رأسى أبدًا [illegible] عن وسيلة لفك حصار البرنامج .. حيث كلما شعرت [illegible] التعب والإرهاق فى طريقهما لهزيمتى ، أسترجع كلماتك فيعود النشاط إلى عروقى ، وأعاود العمل .

ثم ابتسمت ، مستطردة :

ــ ولقد كانت عبارتك دقيقة للغاية .. فلو أننى تأخرت عن فك الحصار ثانية واحدة ، لكانت نهاية العالَم .

ومالت نحوه ، وقبّلته ، مُرْدِفة فى مَرَح :

ــ ويكفينى فخرًا أننى قد أنقذت حياتك .

ابتسم فى سعادة ، وعاد يتطلّع إلى الشمس ، قائلًا فى اعتزاز :

ــ بل أنقذت عالَمَكِ كله يا بنيّتى ، ومحوْتِ من قلوبنا ذلك الخوف السخيف ، الذى يحمل اسم (الشمس الزرقاء) ..

* * *

[تمت بحمد الله]

رقم الإيداع ٣٢١٥